بسم الله الرحمن الرحيم

علـوم اللغـة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ١٠، ع ٣ ٧ ٢٠٠٠

ⓒ حقوق الطبع والنشر محفوظة، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات، إلا بإذن كتابى من الناشر.

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٣٠ ش أ ن (٥٨) الدواوين - القاهرة ١٢٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٢٧٩٤٢٠٧٩ - فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث	الصفحة
الفصحى والحضارة د. علي هنداوي	٩-٦٩
الهاء العربية الصوت والوظائف (دراسة توليدية) د. رضوان منيسي عبد الله	٧١-١٥٠
مفهوم اللغة في ضوء اللسانيات الحديثة د. محمد محمد محمد الخربي	١٥١-١٨٢
القضايا الصوتية والصرفية «في فاتحة الكتاب» د. عامر صلاح محمد	١٨٣-٢٦٢
مصطلح المعجمية عند ابن خلدون د. خالد فهمي إبراهيم	٢٦٣-٣٢٢

القضايا الصوتية والصرفية في " فاتحة الكتاب " في ضوء المنهج اللغوي الحديث

دكتور : عامر صلاح محمد.
جامعة قناة السويس
كلية التربية بالعريش ـ قسم اللغة العربية.

المقدمة

لعل ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع - على وجه التحديد - هو أني وجدت العديد من كتب إعراب القرآن وتفسيره يتناول بعض القضايا النحوية ، أو الصرفية الموجودة في " فاتحة الكتاب " دون الإلمام بكل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة من جوانبَ لغوية متعددة ، فقد تجد بعض كتب التفسير يتناول الجانب النحوي والدلالي دون الصرفي ، أو العكس بحيث إن وجدتَ كتاباً ـ من كتب الإعراب مثلاً - يتناول جميع الجوانب تجده يتناولها بإيجاز غير وافٍ ، ودون الإشارة إلى القراءات المختلفة التي وردت في كل آية منها ، أما عن كتب اللغة فإنك تجد كل هذا عبارة عن قضايا متفرقة في ثنايا الكتب دون أن تجد كتاباً جامعاً لها ، ولقد فتشت في كثير من كتب الإعراب قديمها وحديثها فلم أجد منها ما وفّى هذه السورة حقها على كثرة ما جاء فيها من ظواهر نحوية ، أو صرفية ، أو صوتية ، أو دلالية ؛ خاصة في ظلّ القراءات القرآنية المختلفة التي اشتملت عليها هذه السورة ، لهذا فقد جال بخاطري في بادئ الأمر أن أتناول الجانب النحوي فقط من خلال معالجة القضايا النحوية والأوجه الإعرابية المترتبة على القراءات القرآنية المختلفة ، وما ينشأ عنها من تغيّرات دلالية يمكن أن تؤثر في السياق القرآني ، ثم سرعان ما وجدت نفسي منغمساً في معالجة بعض القضايا الصرفية ، غير أني وجدت هذا الأمر لا يمكن إتمامه بمعزل عن دراسة القضايا الصوتية ، إذ لا يمكن معالجة الموضوع وبحثه بحثاً علمياً دقيقاً دون التعرض للظواهر الصوتية ، " وذلك في الحق هو ما تقرره الدراسات اللغوية الحديثة التي تنص على فشل أية دراسات صرفية ، أو نحوية لا تأخذ في الحسبان الجانب الصوتي للظاهرة المدروسة " [1] ،

(١) دراسات في علم اللغة ، د. كمال بشر ص ٧٥ .

ولهذا عقدت العزم على أن أتناول كل هذه القضايا المتفرقة في كتب التفسير ، والنحو ، وإعراب القرآن في بحث مستقل يجمع شتاتها ، ويغزل خيوطها في نسيج متكامل يُيسر الأمر ، ويضيء السبيل أمام كل من يريد أن ينهل من فيض هذه السورة المباركة ولكنني بعد إضافة كل من الجانب الصرفي والصوتي للموضوع ؛ وجدتُ أنَّ البحث بدأ ينحو معي منحى الرسالة وما فيها من تطويل ، لذا كان أمامي أحد أمرين :

الأول : إما أن أختصر في بعض مسائل البحث ذلك مما يعرضه إلى نوع من الخلل في منهجيته وطريقة عرض مسائله .

الأمر الثاني : أن أُجزِّئَ البحثَ إلى قسمين بحيث يصلح كل منهما أن يكون بحثاً مستقلاً بذاته ، وهذا ما عمدتُ إلى اختياره حرصاً مني على المنهج العلمي للبحث ، وعدم الإخلال به ؛ لهذا جعلت دراسة كل من القضايا الصوتية والصرفية في بحث مستقل يضمهما ، ويبحث مسائلهما معاً ، وجعلت كلاً من القضايا النحوية والدلالية معاً في بحث آخر مستقل .

وبناءً على ما تقدم فقد جاء هذا البحث بعنوان: " القضايا الصوتية والصرفية في فاتحة الكتاب " على ضوء المنهج اللغوي الحديث ، على أن أُتبعه ببحث آخر ـ في وقت لاحق ـ بعنوان : " القضايا النحوية والدلالية في فاتحة الكتاب " ، وقد رأيت أن يكون هذا البحث على قسمين :

الأول : خاص بالقضايا الصوتية ، وقد جاء الحديث فيه عن : ظاهرة الإدغام ، والإمالة ، والتفخيم والترقيق ، والإبدال أو التبدُّل الصوتي بين الصوامت والصوائت ، والتقصير أو التطويل بين الحركات .

الثاني : خصصته بالحديث عن القضايا الصرفية ، فعالجتُ فيه عدة ظواهرَ صرفيةٍ : كالاشتقاقِ ، والوزنِ الصرفيِّ ، والحذفِ الصرفي في بنية الكلمة، والإبدال والإعلال الصرفيَّين .

فإن كنت قد وُفّقتُ فهذا من الله ، وإن كانت الأخرى فهذا مني ، وكفاني أني اجتهدت ، والله وحدَهُ أسألُ العونَ والتوفيقَ والسدادَ ، فهو وليّي وعليه قصدُ السبيل .

التمهيد

اسم " فاتحة الكتاب " هو : أحد أسماء هذه السورة العظيمة التي تصدرت أعظم كتاب على الإطلاق ، هذه السورة ـ التي على إيجازها ـ احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن ، فقد تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة[1]:

١ - توحيد الربوبية : وذلك يؤخذ من قوله تعالى: "رب العالمين "

٢ - توحيد الإلهية : وهو إفراد الله بالعبادة دون غيره ، وذلك يؤخذ من قوله تعالى:" الله "، ومن قوله :" إياك نعبد وإياك نستعين ".

٣ - توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) من غير تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، دل على ذلك لفظ " الحمد " .

كما تضمنت هذه السورة أيضاً إثبات النبوة في قوله تعالى على لسان عباده : " اهْدِنا الصِّراطَ المستقيم " ؛ لأنَّ ذلك ممتنع بدون الرسالة وتضمنت إثبات الجزاء على الأعمال جاء ذلك في قوله : " مالك يوم الدين " ، كما تضمنت إخلاص الدين لله تعالى وحده عبادةً واستعانةً يُفهم ذلك من قوله تعالى على لسان عباده :"إياك نعبد وإياك نستعين" وتضمنت إثبات القَدَر ، بل تضمنت الرد على أهل البدع في قوله على لسان عباده : " اهدنا الصراط المستقيم " .

وقد أطلق العلماء علي هذه السورة نحو نيف وعشرين [2] اسماً ما بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء منذ عهد السلف الصالح ، غير أن ما ثبت في السنة الصحيحة ، وما أُثِر من هذه الأسماء أربعة فقط هي :

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٣٧ : ٣٨ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " ١/ ٦، ومن جملة أسماء هذه السورة أيضاً : الكنز ، والواقية ، والحمد ، والصلاة ... إلخ .

فاتحة الكتاب ، والسبع المثاني ، وأم القرآن ، وأم الكتاب ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني " [1]، ولعل ما دفعني إلى اختيار هذا الاسم – فاتحة الكتاب – دون ما سواه هو ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديثه : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " .

والفاتحة تعني في الأصل : أول ما من شأنه أن يُفتَتَح به ، أو هي : أول ما من شأنه أن يُفتَح كالكتاب أو الثوب ، ثم أطلقت على أول كل شيء ، ولعل ذلك مرجعه إلى أمرين[2] :

١ – إما من باب تسمية المفعول بالمصدر الآتي على وزن " فاعلة " إذ إن الفاتحة مصدر بمعنى : " الفتح " مثل الكاذبة بمعنى : " الكذب " ، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، وأطلقت " الفاتحة " تسمية للمفعول بالمصدر ؛ إشعاراً بأصالته كأنه نفس الفتح .

٢ – وإما على اعتبار أنها اسم فاعل ثم جُعلت اسماً لأول الشيء ، فالأصل : " فاتح الكتاب " ، ثم أُدخلت عليها تاء التأنيث للنقل ، إذ ليست التاء هنا لتأنيث الموصوف في الأصل .

ولفظة " فاتحة " وصفٌ وُصِفَ بها مبدأ القرآن ، وعومل معاملة أسماء الجنس وأضيف إلى الكتاب ؛ فقيل : " فاتحة الكتاب " ، فهي إضافة على معنى اللام أي : " فاتحة للكتاب " ؛ ثم صار هذا المركب علماً – بالغلبة – على هذه السورة التي تصدرت القرآن لمن يريد أن يقرأه من أوله ؛ فتكون هي فاتحة له. قيل : إنما سُميت هذه السورة بـ " فاتحة الكتاب " ؛ لأنها يُفتتح[3] بها في

---

(١) انظر فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ١ / ١١ .
(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣١/١ :١٣٢ ، وفتح القدير ١ / ١٠ .
(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١ / ١٧٣ ، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام ١ / ١٣ ، وتفسير السمعاني ١ / ٣١: ١١ .

المصاحف ، وفي التعليم ، وفي القراءة في الصلاة ، وقيل : لأن الحمد فاتحة كل كلام ، وقيل : لأنها أول سورة نزلت من السماء .وقيل إنما سميت بذلك ؛ لأنها مبدوءة على الترتيب المعهود [1] ، ليس لأنها يفتتح بها في التعليم ، أو القراءة في الصلاة ، ولا لأنها أول سورة نزلت كما قيل.

وقد اختلفت الأمة حول آية " بسم الله الرحمن الرحيم " في أوائل السور الكريمة ، فذهب[2] بن مسعود (رضي الله عنه) إلى أنها ليست من القرآن أصلاً ، وهو ما ذهب إليه الإمام مالك(رضي الله عنه)، وعليه قُراء المدينة والبصرة والشام ، وعليه المشهور من مذهب قدماء الحنفية ، وقيل هي آية فذة من القرآن أُنزلت للفصل والتبرك بها ، وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية من كل سورة صُدِّرت بها ، وهو قول ابن عباس (رضي الله عنهما) ومنسوب إلى ابن عمر أيضاً ، وحيث إنه لا حاجة لنا إلى الخوض في غمار هذا الخلاف أو الجدل وتفصيل الأقوال فيه ، فقد رأيتُ عدها إحدى آيات فاتحة الكتاب — على أرجح الأقوال — وسأقوم بعرض ما جاء فيها من ظواهر صوتية ، وصرفية .

---

(1) انظر روح المعاني ١ / ٣٤ ، ٣٦ .

(2) انظر روح المعاني للألوسي ١ / ٣٥ ، ٣٩ ، وتفسير أبي السعود ١ / ٨ .

القضايا الصوتية

ما قصدتُ بالقضايا الصوتية هنا دراسة مخارج الأصوات أو صفاتها ، ولكن ما قصدته هو بعض تلك الخصائص الصوتية التي اشتملت عليها " فاتحة الكتاب " ؛ نتيجة للقراءات القرآنية المختلفة الناجمة عن اختلاف القراء ربما لاختلاف اللهجات أو غير ذلك ،كالإدغام ، والإمالة ، والتفخيم أو الترقيق ، والإبدال الصوتي : كإبدال حركة حرف المضارعة ـ مثلاً ـ من الكسرة إلى الفتحة ، أو تقصير بعض الصوائت كتقصير الفتحة الطويلة . كما سيتضح ذلك من خلال الحديث عن هذه الظواهر .

أ ـ **الإدغام** : " بسكون الدال لفظ الكوفيين ، و" بشدِّها افتعال منه لفظ البصريين " [1] .

والإدغام " لغة " هو : إدخال الشيء في الشيء ، يُقال أدغمت اللجام في الفرس أي : أدخلته فيه .

و " اصطلاحاً " هو : الإتيان بحرفين : ساكن ، ومتحرك من مخرج واحد بلا فصل بينهما ؛ فيُنطَق بهما دَفعة واحدة ، وعلة تسمية ذلك بالإدغام ؛ لخفاء الساكن عند المتحرك ، فكأنه داخل فيه . ويقع الإدغام في الحرفين[2] ـ الصوتين ـ المتماثلين ، أي : إدغام صوت في صوت آخر مثله ، وفي الصوتين المتقاربين ، أي : إدغام صوت في صوت آخر يقاربه في المخرج ، وهو يتعلق بالتلفظ أي النطق عند القراءة ،أو التحدُّث ،كما أنه يكون في الكلمة الواحدة ، وفي الكلمتين ، فالإدغام إذن ضربٌ من التأثير[3] الذي يقع في الأصوات

---

(١) حاشية الخضري ٢ / ٩٤٠ .

(٢) انظر التحبير في علم التفسير، للسيوطي ١٨٩ص : ١٩١، و " القاعدة اللغوية والقراءات المخالفة " ص ١٠٠ .

(٣) انظر اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ص ٥١ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ص ١٢٦ .

المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة ، ويدخل الإدغام جميع الحروف ما عدا الألف اللينة [1] .

إدغام المثلين : من مواضع إدغام المثلين الذي وقع في الكلمة الواحدة ما جاء في لفظ الجلالة " الله " من قوله تعالى : " بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ " ـ عند مَن عدَّ " أل " من بنية الكلمة في لفظ الجلالة ـ حيث أدغمت اللامان[2] : اللام الأولى ـ التي هي لام " أل " التعريف ـ في اللام الثانية ـ التي هي لام الكلمة الأصلية ـ إذ إن الأصل فيه " إلاه " ، فلما حُذفت الهمزة من أوله ؛ اجتمعت لامان : لام " أل " الداخلة على الاسم ، و لام الكلمة " لاه " ؛ فأدغمت اللامان وجُعلتا لاماً واحدة مشددة ، وهو إدغام لفظي كتابي ، أي إدغام الصوتين ، أو الحرفين في اللفظ ، وفي الرسم الكتابي .

وقد وقع هذا النوع من الإدغام أيضاً في قوله تعالى : " رَبِّ " حيث أُدغم صوتان متماثلان هما : صوت الباء والباء ، أي : الباء المكررة ، كما وقع أيضاً في قوله تعالى : " إيَّاك " ، حيث أدغم صوت الياء في الياء ، وهما صوتان متماثلان أيضاً ؛ ذلك ما أدى إلي إدماج الحرفين فصارا حرفاً واحداً مشدداً ، أو مضعّفاً في كل من الكلمتين : " ربِّ " ، و" إيَّاكَ " ، فهو إدغام لفظي كتابي .

وكذلك من مواضع إدغام المثلين أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " الضالّين " إذ إن الأصل فيها : " الضاللين " بلامين [3] ، حذفت حركة اللام الأولى ؛ فاجتمع ساكنان ؛ فأدغم صوت اللام في اللام ، فصارا لاماً واحدة مشددة ، فهو إدغام للحرفين أو الصوتين في اللفظ ، وفي الرسم الكتابي .

---

(1) انظر حاشية الخضري ٢ / ٩٤٠ .
(2) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٠ .
(3) انظر روح المعاني ٩٦/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٦/١ ، وتفسير الطبري ١٥١/١ ، ونتائج الفكر في النحو للسهيلي ص ٣٠٥ .

الإدغام الشمسي : وهو من باب إدغام المتقاربين ، جاء ذلك في قوله تعالى : " الرَّحمنِ الرَّحيمِ " ، حيث وقع الإدغام الشمسي في كلتا اللفظتين " الرَّحمنِ " ، و" الرَّحيمِ " ، فأدغم صوت اللام [1] في صوت الراء ، مع إثبات كل منهما كتابةً ، إذن فالإدغام هنا صوتي مُتلَفظ به فقط دون إظهاره في الرسم الكتابي ، وللإدغام هنا علتان :

الأولى : قُرب الراء من اللام في المخرج .

الثانية : كثرة ورود لام التعريف في كلامهم ودوامها على ألسنتهم ؛ لدخولها على الأسماء كلها ــ ما عدا الأعلام ــ فلما اجتمع الأمران : المقاربة ، والكثرة ؛ أُلزم الإدغام ؛ فصار واجباً .

وأكثر النحاة لا يُقرّون العكس أي : لا يُدغمون الراء في اللام ؛ لأن في صوت الراء تكريراً يَذْهبُ عند الإدغام ، إلا أنَّ أبا العلاء يرى إدغام الراء في اللام ، لكنّ الإدغام هنا لم يكن من هذا النوع الذي اختلف عليه النحاة ، فالذي أُدغم هنا هو صوت اللام في الراء وليس العكس .

ومن مواضع الإدغام الشمسي أيضاً ما جاء في قوله تعالى : "الصِّراطَ " وقوله تعالى : " الَّذينَ " ، وهو إدغام [2] واجب ؛ لأنَّ كلاً من الكلمتين دخلت عليها " أل " التعريف الزائدة ــ وإن كانت " أل " غير لازمة في " الصراط " ، ولازمة في " الَّذين " إلا أنها زائدة في الكلمتين ــ ؛ فأُدغمت لام التعريف الساكنة في الحرف الذي بعدها وهو : " الصاد " في الكلمة الأولى ، و" الذال " في الكلمة الثانية ؛ فصار الحرف مشدداً بعد لام التعريف ، وهو إدغام لفظي فقط غير مكتوب ، أي لم يُدغم الحرفانِ كتابةً ؛ لأنّ من الإدغام

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ١ / ٢٦٧ ، وأربع مسائل في النحو " رسالة الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم " ص ٤٩.

(٢) انظر أربع رسائل في النحو ص ٤٩ .

ما هو ملفوظ ويعبر عنه في الكتابة برسم الحرفين المُدغمين حرفاً واحداً مشدداً كما سبق .

ب – الإمالة : عرفها بعضهم بأنها [1] ضرب من ضروب التأثُّر الذي يحدث بين الأصوات نتيجة لتجاورها أو تقاربها ، والإمالة من الظواهر التي كانت شائعة بكثرة بين القبائل العربية قديما .

والإمالة تعني : أن تنحو بالفتحة أو تميل بها نحو الكسرة ، أو تميل بالألف نحو الياء كثيراً ، ويُسمى الإضجاع أو البطح ، وربما قيل له : الكسر أيضاً ، أو قليلاً ويُقال له : التلطيف أو التقليل ؛ وبهذا تنقسم الإمالة إلى : إمالة شديدة ، وإمالة متوسطة .

غير أن علماء اللغة أضافوا أيضا إمالة الفتحة نحو الضمة ، والألف نحو الواو ، كما أضافوا [2] إمالة الكسرة نحو الضمة ، ولا تكون إمالة الكسرة إلا في الفعل الثلاثي الذي قُلِبَتْ عينه ألفاً في الماضي نحو : " قيل ، وبيع ، وسيق ، وغيض " ، وقد ذهب أكثر القدماء إلى أن الإمالة فرع على الفتح أو التفخيم .

في ضوء ما سبق يتضح أن الألف الممالة هي التي ينطق بها بين الألف والياء كما في " عالم ، وخاتم ".

ومن مواضع الإمالة في " فاتحة الكتاب " ما جاء في قوله تعالى :"مالك" حيث قرأ [3] يحيى بن يعمر ، وأيوب السختياني بالإمالة البليغة في صوت الألف ومنهم من قرأها بدون إمالة أي بالألف الخالصة بوزن " فاعِل " ، أو بالمصطلح اللغوي الحديث : قرأ بالفتحة الطويلة الخالصة دون إمالتها نحو الكسرة وهي قراءة [4] أبي هريرة ، وأبي حيان ، وعمر بن عبد العزيز بخِلافٍ عنه ، ونُسبت

---

(1) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٣٤ .
(2) انظر السابق ص ١٣٥ .
(3) انظر تفسير السمرقندي " بحر العلوم " ١ / ٨٢ .
(4) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ١ / ٢٠ .

إلى أبي روح عِون بن شدّاد العقيلي ، ومنهم من قرأ بدون ألف أو ـ بمعنى آخر ـ قرأ بفتحة قصيرة فقال : " مَلِك " . وفي هذه اللفظة عدة قراءات : " مالكٌ " بزنة فاعل مع التنوين ، رُويت عن خلف بن هشام ، وأبي عيب ، وأبي حاتم ، وقُرئ : " مَلَكَ " [1] بصيغة الفعل الماضي قرأ بها سيدنا علي ، وأبو حيوة ، وأبو حنيفة ، وجُبير بن مطعم ، وغيرهم .

ت – التفخيم والترقيق : عرَّف بعضُهم التفخيم بأنه [2] فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر ، وربما يطلق عليه بعضهم " الفتح "، وألف التفخيم هي الألف التي يُنطَق بها بين الألف والواو نحو : سُلام عليك ، وقُام زيد ، والفتحة المفخمة هي [3] صورة من عدة صور نطقية متعددة للفتحة حسب اختلاف الآثار السمعية للنطق ، علماً بأنَّ الفتحة بذاتها لا تتصف بتفخيم أو ترقيق ، وإنما يعتريها التفخيم أو الترقيق من خلال السياق أي : بسبب تأثرها بما يجاورها من الأصوات سابقة أو لاحقة ، حيث إنَّ عالماً عربياً قد لحَظ هذه الحقيقة . فهي إذن ظاهرة سياقية Contextual ، وكذلك الفتحة الطويلة تتأثر بما يسبقها ، أو بما يليها من أصوات كما في : " فاضَ " ، و " باضَ " ، حيث فُخمت الألف تأثراً بالأصوات التالية بالرغم من سبقها بأصوات مرققة ، فالتفخيم في الألف أيضاً ظاهرة سياقية ، وهذا على خلاف ما ذهب إليه ابن جني [4] الذي لم يربط التفخيم أو الترقيق في الألف بالسياق أو الموقع ، فهو يشعرنا بأن التفخيم من صفات الألف ذاتها ، وأن ثَمة

---

(١) انظر فوائد في مشكل القرآن ١ / ٤٦ ، وإعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٢ والبحر المحيط ١ / ٢٠ .
(٢) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٣٤ .
(٣) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ .
(٤) انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٥١ ، ٥٦ .

أكثرَ من صورةٍ لنطق الألف دون النظر إلى سياقها الصوتي ، غير أن ابن الجزري[1] ينفي كون الألف تحمل في ذاتها طبيعة التفخيم أو الترقيق .

يقول د .كمال بشر : " ويجب أن نعرف على كل حال أن التفخيم في الألف (والحركات العربية كلها) ليس ظاهرة فونيمية Phonemic ، أي ليس ظاهرة من شأنها التفريق بين المعاني في الكلمات المتماثلة في تركيبها الصوتي ، فيما عدا هذه الظاهرة نفسها . وإنما التفخيم هنا ظاهرة تطريزية Prosodcc ، هي خاصة السياق كله ، وناتجة عنه "[2] .

ومن مواضع التفخيم والترقيق ما يحدث في صوت اللام من لفظ الجلالة " الله " وذلك بحسب الحركة السابقة ، حيث تُفخم اللام إذا سُبقت بحركة الفتحة ، أو الضمة ، أما إذا سبقتها الكسرة فإنها تُرقق كما هو الحال في قوله تعالى : " بسمِ اللهِ " ، فاللام مرققة في لفظ الجلالة ؛ لسبقها بالميم المكسورة ، غير أن من القراء[3] من يرقق اللام من لفظ الجلالة بكل حال ، ومنهم من يفخمها بكل حال ، والجمهور على الرأي الأول أي : التفخيم في موضع التفخيم ، والترقيق في موضع الترقيق .

ومن مواضع ترقيق اللام أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " الحمدُ لِلَّه " فاللام من لفظ الجلالة مرققة ؛ وذلك لسبقها بلام الجر المكسورة ، كما أنها رُققت أيضاً عند من قرأ : " الحمدُ لله " بضم لام الجر إتباعاً لحركة الدال قبلها فقال : " الحمدُ لُلَّه " ، فهذا الضم لا يخرج[4] اللام عن وضعها من الترقيق ؛ وذلك لأن ضم اللام هنا حركة عارضة فيها ، والأصل فيها الكسر ، فلا يُعتد بالعارض في العدول عن حكم الترقيق إلى التفخيم ، وهذا شأن كل عارض .

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ١ / ٢٠٢ : ٢٠٣ .
(٢) دراسات في علم اللغة ص ١٣٦ .
(٣) انظر تفسير النسفي ١/ ٥ .
(٤) انظر إعراب القراءات الشواذ ٨٩/١ .

ث – الإبدال أو التبدُّل الصوتي : ثمة عوامل مختلفة ، وظروف خاصة [1] تجتمع في كل لغة من اللغات تكون سبباً في تبدل بعض أصواتها ، وهذا التبدُّل قد ينشأ : إما عن تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض أثناء التركيب – وهو أمر واقع في جميع اللغات – ، وإما نتيجة التطور الزمني الذي يؤدي إلى إبدال حرف بآخر . وربما يكون ناشئاً عن تعدد القبائل واختلافها في أصوات الحروف ، ثم اجتماعها كلها في اللغة بتداخل لغات القبائل واجتماعها في لغة واحدة ؛ لذلك ليس المراد بالإبدال هو تعمد العرب تعويض حرف مكان حرف ، وإنما لغات مختلفة لمعان متفقة ؛ حيث تتقارب اللفظتان في لغتين ــ لهجتين ــ لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد كما في : قَسَم وقَصَم ، ووَسَم ووَصَم ، و غَبَنَ وخَبَنَ ، و تاب وثاب وآب .....إلخ .

فالإبدال إذن ظاهرة لغوية[2] لا تحدث إلا على سبيل التقارب بين الأصوات المتبادَلة ، والغرض منه تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة ؛ بُغية تيسير اللفظ وتسهيله ، أو بُغية الوصول بالكلمة إلى الهيئة التي يشيع فيها استعمالها .

والإبدال في الاصطلاح : هو إقامة حرف [3] مكان حرف آخر في الكلمة ، فهو يشمل القلب أيضاً غير أن الإبدال عام ، والقلب خاص بحروف العلة والهمزة ، وقد عدّ بعضهم الإبدال نوعاً من الاشتقاق ، " أو هو ارتباط بعض المجموعات الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته " [4] .

---

(1) انظر فقه اللغة وخصائص العربية ص ٦٤ : ٦٥ .
(2) انظر المنهج الصوتي للبنية العربية د . عبد الصابور شاهين ص ١٦٨ .
(3) انظر حاشية الخضري ٨٩٨/٢ ، فقه اللغة العربية وخصائصها د . إميل يعقوب ص ٢٠٥، ٢٠٧ .
(4) انظر دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ص ٢١٠ .

وقد يحدث الإبدال بين : " الصوامت " أي : الحروف ، أو بين " الصوائت " أي : الحركات .

١- ***الإبدال بين الصوامت*** : الصامت تعبير يعني كل صوت ليس بحركة وهو : " تعبير دقيق إذ هو يصف خاصة من الخواص الأساسية لهذه الأصوات ، وهي ضعف الوضوح السمعي إذا قيست بالحركات التي تتسم بقوة الوضوح السمعي نسبياً "[١] ، والصوامت ذات طبيعة مشتركة ناتجة من أنها جميعاً تنشأ من اعتراض طريق الهواء المندفع من الرئتين إلى خارج الفم ، فهي أصوات اعتراضية يمكن التبادل بينها .

الإبدال الصوتي في " العالمين " : حيث قُرئت " العألمين " بإبدال[٢] الألف همزة ساكنة وهذه لغة وردت الرواية بها ، وقالوا : عألم ، وخأتم ، والإبدال بين الألف والهمزة هنا قياسٌ لما بينهما من الشبه ، إذ إن كليهما من مخرج واحد ، والهمزة حرف صحيح قوي ، والألف حرف لين في غاية الضعف ؛ لذا عُدل عن الألف إلى ما يُقاربها في المخرج وهو أقوى منها ، كما أن الهمزة يجوز قلبها ألفاً إذا ما سُكّنت وانفتح ما قبلها نحو : فأس ، ورأس ؛ وذلك لشبهها بالألف إذن فإبدال الألف همزة هو قياس لما بينهما من الشبه ، ولأن في ذلك ضرباً من الاقتصاص ، وقد ورد ذلك في الشعر حيث أنشد العجاج[٣] :

فخِندِفُ هامةُ هذا العَأْلم قومٌ لهم عِزُّ السَّنَامِ الأَسْنَمِ .

الشاهد في البيت هو : " عَألم " بالهمزة بدلاً من الألف قال العكبري : " فإن قيل : هلّا كانت الرواية بالألف ؟ قيل : الهمز مسموع من الشاعر ، والوجه

---

(١) دراسات في علم اللغة ، د. كمال بشر هامش ص ٨٣ .

(٢) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٩٠ : ٩١ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٠١ ، ولم ينسب ابن جني هذه القراءة لأحد ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣/١٠ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٣٨.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٣٨ ، ولسان العرب لابن منظور ٤ / ٣٠٨٥ مادة " علم " ، وشرح المفصل ١٠ / ١٢ ، ١٣.

فيه أنه لو لم يهمز لكان بعضُ القصيدة مُردَفاً وبعضُها غيرَ مُردَف ، وهذا غير مستحسن في القوافي " [1] .

الإبدال الصوتي في " إيَّاكَ " : من مواضع الإبدال أيضا ما ورد في قوله تعالى : " إيِّاك " فمنهم من قرأ " هِيّاك " بالهاء مكسورةً ومفتوحةً [2] ـ لأن منهم من قرأ بكسر الهمزة ؛ فأُبدلت هاء مكسورة ، ومنهم من قرأ بفتحها ؛ فأُبدلت هاءً مفتوحة ـ مع التشديد والتخفيف في الياء ، وفي هذه القراءة إبدال لصوت الهمزة إلى هاء ، وهي لغة مشهورة [3] قرأ بها أبو سوار الغنوي ، كما أنَّ إبدالَ الهمزةِ هاءً كثيرٌ في لغتهم ، فقالوا : " هردت " في " أردت " كما قالوا في : أرحت الدابة : هرحتها . وفي " إنَّك " : هنَّك ، وقد ورد مثل ذلك في الشعر أيضاً قال الشاعر :

فهِيِّاكَ والأمرَ الذي إنْ تراحَبَتْ مواردُهُ ضاقَتْ عليكَ مَصادِرُه [4].

الشاهد في البيت أن الشاعر قد استخدم " هِيَّاك " بدلاً من " إيَّاك " حيث أبدلَ من الهمزة هاءً ، وعلةُ ذلك عندهم أنَّ الهمزة والهاء متقاربان [5]، أو متحدان في المخرج ، والهاء أخف من الهمزة ؛ فعدلوا إلى الأخف ، قال الزمخشري : " وللعرب طريقة في تبديل الهمزة هاءً كقولهم " إيّاك وهيّاك "، ومن ذلك أيضاً قولهم : إيه ، وهيه بمعنى واحد " [6] .

كما أنَّ منهم من أبدل الهمزة واواً فقرأ : " وِيَّاك " بواو مكسورة ، قال العكبري : " وفي هذا بُعد إلا أنَّ له وُجَيْهاً من القياس ؛ وذلك أنهم قالوا في

---

(1) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩١ .
(2) انظر البحر المحيط ١ / ٢٣ ، وإعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٤ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٥ ،وتفسير القرطبي ١ / ٤٦ ، والكشاف ١ للزمخشري / ١٠ .
(3) انظر فتح القدير المع بين فنيّ الرواية والدراية للشوكاني ١ / ٢٤ .
(4) ولهذا البيت أكثر من رواية فروي : " توسَّعت " مكان " تراحبت " انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٤ ، كما روي : فهياك والأمرَ الذي إنْ توسَّعتْ مداخله ضاقت عليك المصادرُ .
انظر شرح الفصيح للزمخشري ١ / ٣٣٤ .
(5) انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٥ ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ١ / ٥٢ .
(6) شرح الفصيح ١ / ٧٨ .

وعاء إعاء ، وفي وشاح إشاح ، وفي وجاج إجاج فأبدلوا من الهمزة واواً ، وذلك دليل على اشتراكٍ بينهما يُسوِّغ قلبَ إحداهما إلى الأخرى " [1].

ووجه الاشتراك بين كل من الهمزة والهاء أن الهمزة مخرجها أول المخارج مما يلي الحلق ، والهاء مخرجها من الشفتين وهو أول من جهة الفم ، وحيث إن كلاً منهما أول ؛ فقد اشتركا في الأولية ، وفي أنّ كلَّ واحدٍ منهما مقابل للآخر ، كما اشتركا أيضا في الثّقَل ، فالهمزة ثقيلة تخرج بكُلفة ، والواو أيضاً ثقيلة لتعلقها بعضوين وهما الشفتان ؛ فحصل بذلك اشتراكهما في عدة أوجه ؛ لذا شاع إبدال أحدهما مكان الآخر ، فأبدلت الواو من الهمزة في " إيَّاك " ، وذهب أبو حيان [2] إلى أن هذا على عكس مما فروا إليه في " إشاح " عند من هَمَزَ ؛ لأنهم فروا من الواو المكسورة إلى الهمزة المكسورة ، وهرباً من استثقال الكسرة على الواو، فقالوا : " إشاح " والأصل : " وِشاح " ، وهنا في " وِيَّاك " فعلوا العكس ، حيث فروا من الهمزة إلى الواو .

الإبدال الصوتي في " الصِّراطَ " : من مواضع الإبدال الصوتي للصوامت أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " الصِّراطَ " حيث وردت فيها أكثر[3] من قراءة مرجعها جميعاً إلى الإبدال الصوتي ، فقرأ يعقوب " الصِّراط " بالصاد الخالصة ، قال ابن فارس : " وهو من باب الإبدال[4]، حيث أُبدلَ صوتُ السين بصوت الصاد؛ لأجل حرف الاستعلاء ، وهو إبدال مطرد بين الصوتين ، وقد تُشَم الصاد . وقرأ ابن كثير[5] " السِّراط " بالسين على الأصل ؛ لأنه من الاستراط

---

(1) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٥ .
(2) انظر البحر المحيط ١ / ٢٣ .
(3) انظر البحر المحيط ١/ ٢٥ : ٢٧ ، وفوائد في مشكل القرآن ٥٦/١ ، وروح المعاني ٩٢/١ ، وفتح القدير ٢٦/١: ٢٧، والدر المنثور في التفسير المأثور ٣٨/١ ، وتفسير القرطبي ١٤٨/١ ، والكشاف ١ / ١١ ، والدر المصون ٦٢/١ ، والموضّح في وجوه القراءات وعللها لابن مريم ٢٣٠/١ ، ومعجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا ١٤١/٣، ١٤٢ ، وفقه اللغة د. علي عبد الواحد ص ١٢٦ .
(4) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٢/٢ ، ٤٩٨ .
(5) انظر تفسير السمرقندي المسمى " بحر العلوم " ٨٢/١ .

بمعنى الابتلاع ، وروى الأصمعي عن أبي عمرو " الزِّراط " بالزاي ، ورُوي عن حمزة أيضاً أنه قرأ بها ، بإبدال السين زايا ، وهي لغة لعذرة [1] وكليب وبني قين يقولون : " أزدق " في " أصدق "، وكل ذلك جائز ؛ لأن مخرج السين والصاد واحد ، وكذلك مخرج الزاي قريب منهما ، ومع هذا فإن القراءة المعروفة هي " الصراط "بالصاد فهي لغة قريش الأولى ، وهي اللغة الفصحى الجيدة ، وبها قرأ الجمهور، وذهب بعضهم [2] إلى أنّ في قراءة السين التي قرأ بها ابن كثير " السراط " نوعاً من الثقل ، ونُبُوّاً عن الطبع ؛ وذلك لما في صوت السين من التسفُّل ، وما في صوت الصاد من الاستعلاء ، وبناءً على ذلك فإن في هذه القراءة استعلاءً بعدَ تَسَفُّلٍ نتج عنه ثِقَل اُحتُمِلَ عند من قرأ بالسين ؛ لأنه الأصل وذلك على عكس ما في قراءة الصاد من الخفة ؛ نظراً لتقارب كل من الصاد والطاء من حيث الإطباق فقراءة الصاد أحسن في السمع ، وأخف على اللسان. وقد حدث في هذه القراءة تأثّر رجعيّ [3] حيث تأثر الصوت الأول " السين " بالثاني وهو صوت " الراء " ؛ وذلك لأن القراء قرءوا بتفخيم الراء ، والراء المفخمة تُعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق ما جعلها تؤثر في السين وتحولها إلى صوت مطبق هو صوت " الصاد " ، أما قراءة حمزة بإبدال السين زايا فهي ضعيفة عند القراء ، وإنْ صحت هذه القراءة فإنّ صحتها ترجع إلى التشابه القائم بين صوتي الزاي والطاء في الجهر . قال الزمخشري : " وكذلك كل صاد بعدها قافٌ أو طاءٌ أو غَينٌ أو دالٌ فإن لغات العرب تختلفُ فيها ، منهم من يقولُ : بالزاي ، نحو : الصَّقْرُ والسَّقْرُ والزَّقْرُ ، والصِّراط والسِّراط والزِّراط ، وتَقولُ : أصدقُ ، ومنهُم من يقولُ أزدقُ " [4] .

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٠/١ : ١١ .
(٢) انظر الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢٣٠/١ : ٢٣١ .
(٣) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٤٩ .
(٤) شرح الفصيح ٦٩٣/٢ .

وكلهذه أصوات متنوعة لفونيم [1] واحد هو : " الصاد " ، حيث لا يتغير المعنى باختلافها ؛ لأن هذه الأصوات لا تميز مثلاً بين الكلمات " السراط ، والصراط ، والزراط ، إذ هي جميعاً بمعنى واحد ، وقد قرأ حمزة أيضاً هو والكسائي ويعقوب بإشمام الزاي وهي المضارِعَة بين الصاد و الزاي ؛ لئلا يُلتبس بأحدهما ، وقد كرَّه بعضُهم هذه القراءة ؛ لما فيها من تكلُّف حرف بين حرفين وهو صعب على اللسان . كما قرأ بعض [2] قيس بإشمام الصاد بين الصاد والسين . وذكر البغوي [3] أنها كلها لغات صحيحة ، والاختيار بالصاد عند أكثر القراء ؛ لموافقة المصحف ، وهو الطريق الواضح في اللغة .

ويمكن تمثيل ما حدث تحويلياً كالآتي :

السِّراطَ ← إبدال السين صاداً ← الصِّراطَ (لغة قريش ، قراءة الجمهور)

بنية عميقة — بنية سطحية

السِّراط ← إبدال السين زايا ← الزِّراط (وهي لغة لعذرة وكُليب وبني قين)

بنية عميقة — بنية سطحية

الإبدال الصوتي في " الضالّين " : قرأ أيوب السختياني [4] " الضأّلين " بهمزة مفتوحة قبل اللام المشددة ، كما قرأ بذلك أيضاً عمر وعليٌّ (رضي الله عنهما) حيث وقع ذلك في القرآن في مواضع عدة كما في قوله تعالى : " حأنٌ " [5] ، و" دأبَة " [6] ، و" الحأقَّة " [7]، وهي لغة مسموعة من العرب ، وقيل : هذه لغة مَن جَدّ في الفرار من التقاء الساكنين والتخلص منهما بهمز الساكن الأول

---

(1) انظر المزهر في علوم اللغة للسيوطي ١ / ٢٦٣ ، والكلمة " دراسة لغوية معجمية " د. حلمي خليل ص ٣٩ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية ص ١١ .
(2) انظر زاد المسير ١١/١ .
(3) انظر تفسير البغوي ٥٤/١ .
(4) انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ١٠٣ ، و الكشاف ١ / ١٢ ، وتفسير الطبري ١٥١/١ .
(5) سورة الرحمن من الآية (٧٤) .
(6) سورة البقرة من الآية (١٦٤) .
(7) سورة الحاقة الآية (١) .

الذي هو الألف ؛ لأن الجمع بين الساكنين عندهم مستثقل جداً ، مع أن التقاء الساكنين في مثله جائز ، إلا أنَّ مَن أبدل الألف هنا همزة علل بأن ذلك فراراً من الجمع بين الساكنين ، وأنّ اختياره للهمزة بدلاً هنا ؛ لأنها أُخت الألف في المخرج ، وحركتُها بالفتح الذي هو من جنس الألف ؛ ولأن الحركة في الهمزة حاجزٌ كما أنّ المدَّ في الألف حاجز [1] . ويمكن تفسير ما حدث هنا في ضوء المنهج الحديث على أنه تقصير لحركة الفتحة الطويلة على الضاد واستبدالها بالهمزة المفتوحة ، فحدث بذلك استبدال للمقطع الصوتي من مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) متمثل في " ضا " إلى مقطعين قصيرين هما : (ص ح + ص ح) الأول متمثل في صوت الضاد (ضَ) وحده المتحرك بفتحة قصيرة ، والثاني متمثل في صوت الهمزة البديل (أَ) المتحرك بفتحة قصيرة أيضاً ، ويمكن تحليل ذلك صوتياً كالآتي :

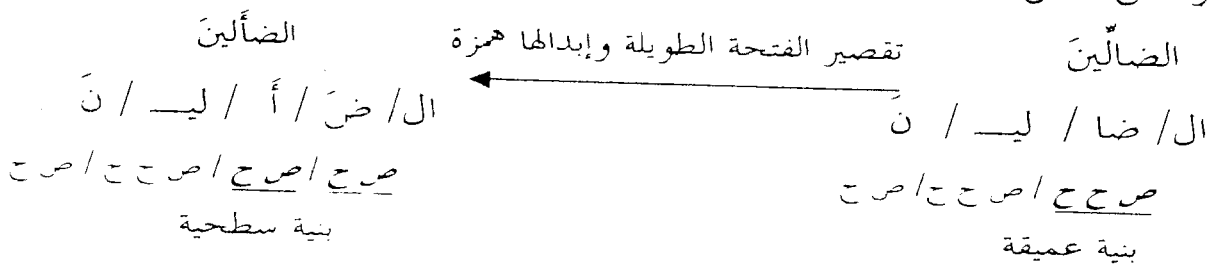

٢ - **الإبدال بين الصوائت " الحركات " :**

الإبدال بين الكسرة والضمة : الحركة هي : " صوت يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حراً طليقاً من خلال الحلق أو الفم ، دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يُحدث احتكاكاً مسموعاً ، ودون أن ينحرف عن وسط الفم إلى الجانبين أو أحدهما ، وهي في العادة صوت مجهور ". [2] فالصوائت أو الحركات إذنْ تنشأ عن اندفاع الهواء من الرئتين إلى

---

(١) انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٨٢ : ٨٣ ، والخصائص لابن جني ١ / ٣ / ١٤٥ .
(٢)) دراسات في علم اللغة ص ١٣٢ .

خارج الفم دون اعتراض ، ويمكن أن تتبادل فيما بينها ، والمقصود بإبدال الصوائت هو إبدال حركة بأخرى ، وهو نوع من التأثير بين الحركات .

يقول الدكتور عبده الراجحي : " ويُقسّم المحدثون تأثر الأصوات إلى نوعين : تأثر رجعي Regressive ، وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني ، وتأثر تقدُمي Progressive وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول "[1]، وقد حدث ذلك في قوله تعالى : " الحمدِ لِلّه " حيث قرأ الحسن[2] بكسر الدال إتباعاً لحركة اللام بعدها ، وهي لغة تميم وبعض غطفان ، وقيل : لغة لبعض بني ربيعة ، وهو من باب إتباع الأول للثاني ، أو كما يسميه المحدثون تأثر تقدُمي ؛ وذلك ليَحدُث التجانس بين الصوتين . قال ابن منظور : " وأما قراءة " الحمدِ " بالكسر قال الفراء : هذه كلمة كثرت على الألسن حتى صارت كالاسم الواحد ؛ فثقل عليهم ضمة بعدها كسرة ؛ فأتبعوا الكسرةَ الكسرةَ "[3]، وبالرغم من أن في ذلك إتباعَ حركة الإعراب — التي هي الأصل — لحركة البناء — التي هي الفرع — إلا أن العرب قد أجازوا ذلك مع ضعفه ، قال الفراء : " لا تنكرنَّ أن يُجعل الكلمتان كالواحدة إذا كثُر بهما الكلام ، ومن ذلك قول العرب : " بأبا " إنما هو " بأبي " الياء من المتكلم ليست من الأب ، فلما كثُر بهما الكلام توهموا أنهما حرف واحد فصَّيروهما ألفاً ؛ ليكون على مثال حُبلى وسَكري ، وما أشبهه من كلام العرب "[4]، فكأن العلة في كسر حركة الدال إتباعاً لحركة اللام هنا هي : اعتبار الكلمتين كالكلمة الواحدة ؛ فثقُل عليهم أن يأتوا بالكسرة بعد الضمة في كلمة واحدة ؛ فأبدلوا ضمة الدال كسرة للتخفيف ، وهذا من الإبدال الصوتي بين الصوائت ، وقد فعلت العرب[5] مثل ذلك فقالوا : " المِغيرة " بكسر

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٢٦ .
(٢) انظر الدر المصون ٤١/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٧٠/١ ، وإعراب القراءات الشواذ ٨٧/١ : ٨٨ .
(٣) لسان العرب ٣١٤/٣ ، وانظر معاني القرآن للفراء ٣/١ .
(٤) معاني القرآن ٤/١ .
(٥) انظر إعراب القراءات الشواذ ٨٨/١ .

الميم إتباعاً لكسرة الغين بعدها ، والأصل في الميم الضم " المُغِيرة "، وقالوا : الجنة لمن يخافُ وِعِيد ربه ، فكسروا الواو إتباعاً لحركة العين بعدها في " وِعِيد " والأصل فيها الفتح " وَعِيد " ، غير أن في كسر دال " الحمدِ " هنا بعداً ؛ لأن فيه إتباعَ حركة الإعراب لحركة البناء ، ولكنه جائز على ضعفه ، وكسر اللام هو مذهب[1] الجمهور . والأصل[2] في لام الجر الفتح بدليل فتحها مع المضمر نحو : المال لَنا ، والحمد لَه ، أما كسرها مع الاسم الظاهر ؛ فللفصل بينها وبين لام الابتداء ؛ لوقوع اللبس بينهما إذا دخلا على اسم لا تظهر عليه علامات الإعراب كما في قولك : إن هذا لَعيسى ، فلا يُفهم هل تريد الإخبار بأن هذا هو عيسى ؟ أم تريد أن تنسب الشيء لعيسى فهو مالك له ، لهذا تُخلِصَ من هذا اللبس بكسر لام الجر للتفريق بينها وبين لام الابتداء ، وذكر المنتجب[3] أن ابن كيسان زعم أن الأصل في اللام الكسر ؛ لأنها جار ، فالأولى أن تكون حركته من جنس ما يُحدِثُه ، وإنما فُتِحَ مع الضمير ؛كراهة أن يأتي ضم بعد كسر نحو : " لِهُو" إذ ليس في الكلام " فِعُل " ، وذكر المنتجب أنّ الرأي الأول في كسر اللام أمتن وعليه المحققون ، وعندي أن ما ذهب إليه ابن كيسان يردُّه أن بعض الضمائر تكون حركتها الفتحة كما في : لَكَ ، ولَنا ، ولَها ، فلو جاءت اللام معها مكسورة على الأصل لما كان في ذلك ثِقَل ؛ لأن الفتحة خفيفة بعد الكسرة ، فدلَّ ذلك على أنه ليس الأصل في اللام الكسر كما زعم ابن كيسان ، كما أن الأصل في الحروف المفردة الفتح ؛ لاختصاصها بالجر ، ولزومها الحرفية . والله تعالى أعلم .

وكما قرئ " الحمدِ لِلَّه " بكسر الدال إتباعاً للام بعدها ، فقد قرأ إبراهيم بن أبي عبلة ، وأهل البادية " الحمدُ لُلَّهِ " بضم اللام إتباعاً لحركة الدال

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير ١/٧ .
(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني ١ / ١٦٣ .
(٣) انظر الفريد ١ / ١٦٣ .

قبلها وهو من باب إتباع اللاحقُ للسابق ، أو بمعنى آخر هو تأثر تقدُّمي ـ وهاتان القراءتان من القراءات الشواذ ـ وقد فضَّل بعضُهم هذا النوع من الإتباع إتباع الثاني للأول ، واستحسنه الزمخشري[1] ؛ معللاً ذلك بأن إتباع حركة البناء لحركة الإعراب أفضل من العكس . كما ذهب بعضهم [2] إلى أن ضم اللام إتباعاً للدال قبلها أقرب من وجهين :

الأول : أن إتباع حركة البناء لحركة الإعراب أولى من العكس ؛ لأن الإعراب إنما دخل الكلمات للدلالة على معنى ، وحركة البناء لا تدل على معنى ومراعاة المعنى أولى وأفضل . وقد جاز الإتباع هنا بالرغم من أنه وقع في كلمتين وشرطه أن يكون في الكلمة الواحدة ؛ ذلك لأن الكلمتين تنزلتا منزلة الكلمة الواحدة كما ذكرتُ سابقاً ؛ نظراً لكثرة الاستعمال ، قال الفراء : " وأما الذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي تجتمع فيه الضمتان مثل : الحُلُم ، والعُقُب "[3] ، فكأنهم استسهلوا الضمة تلي الضمة واستثقلوا الكسرة تلي الضمة ، فضمُ اللام في لفظ الجلالة " لُلَّهِ " عندهم إنما هو من باب اجتناب الاستثقال في كلامهم ، والبحث عن التخفيف .

الوجه الثاني : أن إتباع الثاني للأول أحسن من العكس وأيسر كما في " شدّ ، ومدّ " ؛ لأنه جارٍ مجرى السبب والمسبب ، وينبغي أن يسبق السبب المسبب ، وذهب الألوسي[4] إلى عكس ذلك فرأى أن القراءة الأولى ـ التي هي كسر الدال ـ أحسن ؛ لأن الأكثر جعل الثاني متبوعاً لا تابعاً ، لأن ما مضى فات ، وجَعْلُ غير اللازم تابعاً للازم أولى .

---

(1) انظر الكشاف ١ / ٨ ، ٥٢ .
(2) انظر إعراب القراءات الشواذ ٨٨/١ ، وروح المعاني ٧٤/١ .
(3) معاني القرآن للفراء ٤/١ ، العُقُب : العاقبة ويقال فيه : " العُقب " بسكون القاف .
(4) انظر روح المعاني ٧٥/١ .

وعندي أنَّ أولى كلِّ ذلك وأفضلَه قراءة : " الحمدُ لِلَّه " ـ التي على الأصل ـ بضم دال الحمد ، وكسر لام الجر في لفظ الجلالة ؛ لأنها قراءة الجمهور ، ثم إنَّ فيها حفاظاً على الأصل ، ومراعاة للمعنى الذي من أجله جاءت حركة الإعراب ، يليها في مرتبة الأفضلية قراءة : " الحمدُ لُلَّه " بضم اللام إتباعا للدال ؛ للإبقاء على حركة الإعراب كما هي حتى لا يضيع المعنى الذي جاءت الحركة " الضمة " من أجله ، والله تعالى أعلى وأعلم .

كسر باء " بِسْم " : من مواضع الإبدال الصوتي أيضاً : كسر الباء في " بِسم " على خلاف[1] الأصل ، إذ الأصل في الحروف المفردة أن تُفتح ؛ وذلك لاختصاصها بالجر، ولزوم الحرفية ، وفي ذلك إبدال للحركة من الفتحة إلى الكسرة ، وقيل : " بُنيت الباء على الكسر في " بِسْم " ؛ لأنها تلازم الحرفية والجر ؛ فكُسرت لتشابه حركتها عملها " [2].

وقد يحدث الإبدال الصوتي أيضا بين الحركة والساكن ، ومن ذلك ما جاء في قراءة " مالِك " حيث إنَّ من القراء من قرأها " مَلْك " [3] بتسكين الوسط ، وفي ذلك إبدال كسرة اللام سكوناً ـ بالإضافة إلى تقصير فتحة الميم كما سيأتي في موضعه ـ وهي قراءة أبي هريرة ، وعاصم الجحدري ، ورواها الجعفي وعبد الوارث عن أبي عمرو ، وهي لغة بكر بن وائل .

كسر حرف المضارَعة : الكسرة من الصوائت القصيرة ، وتأتي في المرتبة الوسط بين الفتحة والضمة ، حيث هي أثقل من الفتحة وأخف من الضمة ، ومن المعروف أن حروف المضارعة تُفتح في الأفعال الثلاثية والخماسية والسداسية ، وتُضَم فقط في الأفعال الرباعية نحو : " أُكرمُ – نُؤمنُ – يُسلمُ –

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ١ / ٩ .
(٢) تفسير النسفي ١ / ٤ .
(٣) انظر روح المعاني ٨٢/١ ، وفوائد في مشكل القرآن ٤٥/١ : ٤٦ ، وإعراب النحاس ١٧٢/١ : ١٧٣ .

تُعلمُ " ، غير أنَّ بعض القبائل العربية تجنح[1] إلى كسر حرف المضارعة على كل حال كما جاء في قراءة [2] عُبيد عن عُمير الليثي ، وزر بن حُبيش ، ويحيى بن وثاب ، والنخعي ، والأعمش حينما قرءوا " نِعْبدُ " ، و" نِستَعينُ " بكسر نون المضارع ، وتُعد هذه من القراءات الشاذة ، وهي لغة فاشية في العرب ، وحيث إن التناوب أو تبادل [3] المواقع بين الحركات القصيرة " الفتحة ، والكسرة ، والضمة " قد يؤدي ـ أحياناً ـ إلى اختلاف المعنى ، كما هو الحال في " جَلسة "، و" جِلسة " ؛ إذ إن هناك فرقاً في الدلالة بين الكلمتين ، فالأولى دالة على المرة ، والثانية دالة على الهيئة ، ذلك مما يدل على الوظائف الدلالية التي تؤديها الحركات ، غير أن ما حدث هنا من إبدال حركة حرف المضارعة في الفعل المضارع " نَستعين " وتحويلها من الفتحة إلى الكسرة " نِستعين " ـ أو بتعبير آخر كسر حرف المضارعة ـ لم يكن له تأثير دلالي ، إذ لم يُغير من الأمر شيئاً فلا مساس بدلالة الفعل ؛ من أجل ذلك جاز الكسر والفتح لغةً في حروف المضارعة ، وقد فُسرت علة الكسر هنا بأن حرف المضارعة أولٌ زائد وبعده ساكن ؛ فُيكسر الأول كما يُكسر عند التقاء الساكنين ؛ لذا كسرت همزة الوصل وغيرها مما حُرك لالتقاء الساكنين ، وهذه الظاهرة الصوتية لغة مشهورة لبهراء أطلق عليها القدماء " تَلتلة بهراء " ، وهي ظاهرة صوتية تقع في كل حروف المضارعة ما عدا " الياء " ؛ وذلك لثقل الكسرة على الياء .

وقرئ الفعل " نَعبدْ " أيضاً بإسكان الدال[4] في آخر الفعل ، وفي ذلك أيضاً ظاهرة صوتية وهي احتمالية كون القارئ اختلس الضمة فظنها السامع

---

(١) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١١٤ .
(٢) انظر إعراب القراءات الشواذ ٩٦/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٣/١ ، والدر المصون ٦٠/١ ، والبحر المحيط ٢٢/٣ ، واللهجات العربية ١١٥/١ .
(٣) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٣٤ .
(٤) انظر كشف المشكل في النحو لعلي بن سليمان الحيدري ٣٨٠/٢ .

سكوناً ، كما يجوز احتمالية تسكينها فراراً للقارئ ؛ لعدم اجتماع الحركات ؛ نظراً لضم الباء قبل الدال فحاذرَ القارئ توالي الضمتين وبعدهما حركات .

الإبدال بين الكسرة والفتحة : وهو إبدال موقوف على قراءة من قرأ " أيّاك " بفتح الهمزة والأصل فيها الكسر ،وهي قراءة شاذة ، وفيها إبدال لحركة الهمزة من الكسر إلى الفتح ، وقيل هي لغة مشهورة [1]، وقال العكبري : " والأشبه أنها لغة مسموعة ؛ لأن القياس لا مدخل له في ذلك " [2] ، وأرى أنه بالرغم من أنّ في ذلك انتقالاً من الأثقل إلى الأخف ـ إذ الكسرة حركة أثقل من الفتحة ـ إلا أن الكسرة أكثر مناسبة في هذا الموضع لأنها متلوّة بياء فالأنسب أن تكون الياء مسبوقة بحركة من جنسها ، كما أنّ الياء مشددة وأول المشدد ساكن ، والهمزة هنا موضعها في أول الكلمة وبعدها ساكن فَحرِيٌّ بها أن تكون مكسورة أفضل من أن تُفتح ، والله تعالى أعلى وأعلم .

ج – تقصير أو تطويل الصوائت " الحركات " :

تقصير الفتحة الطويلة : الفتحة حركة يكاد يكون اللسان [3] في حال النطق بها في وضع مستوٍ Flat في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه ، وربما ينحو هذا الارتفاع نحو الخلف قليلاً ، فالفتحة بهذا الاعتبار حركة منفتحة، أو متسعة ، والشفاه حال النطق بها تكون في وضع محايد ، أو طبيعي Neutral ما بين وضعها حال الضمة حيث تُضَم الشفاه معه ، وبين وضعها حال الكسرة الذي تنفرج معه الشفاه ، أي أن الشفاه تكون مفتوحة في وضع معتدل ؛ لذلك سُميت بـ " الفتحة " ، غير أن ثمة فرق بين الفتحة القصيرة التي تُصوَّر في الكتابة الصوتية Phonetic Transcription تصويراً عاماً هكذا "a" ، وبين الفتحة الطويلة أو ألف المد التي تصور هكذا " aa" ، باعتبار

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٤٦ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣ .
(٢) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٤ .
(٣) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٣٣ : ١٣٤ ..

أن التكرار في الرمز يعبر عن طول الحركة ، هذا الفرق يكمن في كمية النطق بكل منهما ، إذ إن النطق بالفتحة الطويلة يستغرق زمناً أطول نسبياً من الزمن الذي يستغرقه النطق بالفتحة القصيرة ، كما أنّ ثَمّة فرقاً آخر بينهما في وضع الشفتين ، حيث إنه في حال النطق بالفتحة الطويلة يكون وضع الشفتين أكثر اتساعاً منه حال النطق بالفتحة القصيرة ؛ لهذا يظهر فرق في كمية الصوت عند النطق بكل منهما ، فالفتحة القصيرة إذن بعض الفتحة الطويلة ، ولقد وصف علماء العربية الحركات الطويلة " بالحروف المُصَوّتة " إشارة منهم إلى ما فيها من وضوح سمعي ، على أنّ الحركات ـ بوْجه عام ـ تخضع لكثير من الظواهر الصوتية : كالتقصير ، أو التطويل ، أو الحذف ،كتقصير الفتحة الطويلة ـ على سبيل المثال ـ وهو مصطلح المحدثين ، أو حذف " ألف المد " وهو مصطلح القدماء ، فتقصير الحركة الطويلة إذن يعني : حذف الألف من الكلمة ، وقد تمثّل ذلك في قوله تعالى : " مالِك " حيث قرأ [1] باقي السبعة ، وزيدٌ ، وأبو الدرداء ، وابنُ عمرو ، وسعدُ بن أبي وقاص ، وعائشةُ ، وكثيرٌ من الصحابة والتابعين " مَلِك " بفتح الأول وكسر الوسط ـ بدون ألف كما يرى القدماء ، أو بتقصير الفتحة الطويلة كما يرى المحدثون ـ حيث تحوّل المقطع الصوتي من مقطع طويل مفتوح " ص ح ح " المتمثل في " ما " في قراءة " مالِك " إلى مقطع قصير مفتوح " ص ح " المتمثل في الميم" مَ " المحركة بفتحة قصيرة في قراءة " مَلِك " ، وقد ذهب بعضهم [2] إلى أن قراءة " مَلِك " هي الأبلغ وهي الاختيار ؛ لأنها قراءة أهل الحرمين ، ولقوله تعالى : " مَلِك الناس" [3]،وقد أدّى تقصير الحركة إلى تغيُّرٍ في الدلالة ، إذ إنّ ثمة [4]اختلافاً في الدلالة بين " مَلِك "

---

(١) انظر الفريد ١ / ٦٦ .
(٢) انظر الكشاف ١ / ٩ ، وروح المعاني ٨٣/١ ، وفتح القدير ٢٤/١ ، وتفسير الطبري ٥٠/١ .
(٣) سورة الناس الآية (٢) .
(٤) انظر تفسير النسفي ٦/١ ، وتفسير أبي السعود ١٦/١ ، وتفسير السمعاني ١ / ٣٦ ..

و" مالِك" فقيل : كل مَلِك مالِك وليس العكس ، وأن أمر المِلك يُنفَّذ على المالك دون عكسه ، وأن ملك من المُلك الذي هو عبارة عن الغلبة التامة والسلطان القاهر والقدرة على التصرف في أمور العامة بالأمر والنهي كما أنه الأنسب بمقام الإضافة إلى " يوم الدين " ، وأوفق لألفاظ القرآن الكريم كما في قوله تعالى : " لمن المُلك اليوم لله الواحد القهار " [1]، وعلى خلاف ذلك قيل " المالك " أكثر ثواباً من " الملك " ؛ لأنه الأكثرُ حروفاً. وقد رجح ابن جرير قراءة " ملَك ".

تطويل الكسرة أو الضمة : المقصود بتطويل الكسرة أي : تحويلها إلى الياء ، وتطويل الضمة أي : تحويلها إلى الواو ـعكس التقصير الذي حدث في الفتحةـ وهو بتعبير آخر الإشباع ، وقد حدث تطويل أو إشباع الكسرة في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : " مالِكِ " حيث قرأ [2] أحمد بن صالح عن ورش عن نافع " مَلِكِي " بإشباع كسرة الكاف ؛ مما أدى إلى الإتيان بالرمز الكتابي الياء بعد الكاف نتيجة للمد الصوتي الذي حدث من الإشباع ، ذلك أيضاً مما أثر على المقاطع الصوتية في الكلمة ، حيث تحول المقطع الصوتي الأخير من مقطع قصير مفتوح إلى مقطع طويل مفتوح ، وتوضيح ذلك كالآتي :

مَ / لِ / كِ ← تطويل كسرة الكاف القصيرة ← مَ / لِ / كي

ص ح / ص ح / ص ح — بنية عميقة

ص ح / ص ح / ص ح ح — بنية سطحية

الموضع الثاني : في قوله تعالى : " عَلَيْهِم " حيث ورد فيها أكثر من قراءة فقد وقع الإشباع بالضم في " علَيْهم " حيث قرأ الأعرج " عليهُمُو "

---

(1) سورة غافر (٣٦) .

(2) انظر روح المعاني ١/ ٨٢ ، وفوائد في مشكل القرآن ١ / ٤٦ .

بضم كل من الهاء والميم ، وإشباع ضمة الميم الذي نتج عنه إثبات الواو لفظاً وخطاً وقرأ ابن كثير والأعرج " عليْهِمُو " بكسر الهاء وضم الميم مع إشباع ضمة الميم مما نتج عنه إثبات الواو لفظاً وخطاً ، ويمكن تمثيل ذلك تحليلياً عن طريق المقاطع الصوتية كالآتي :

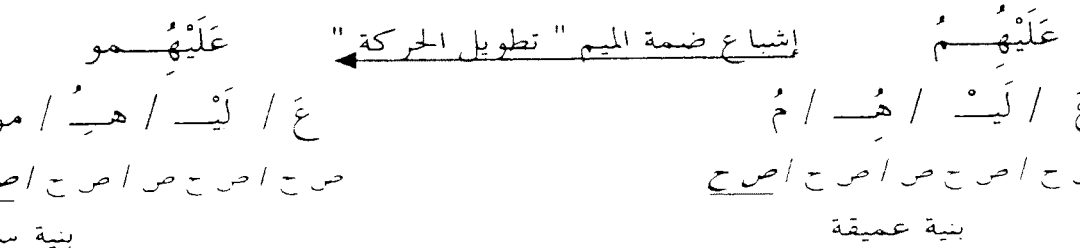

وقرأ[1] الحسن " عليهِمي " بكسر الهاء ، وإثبات الياء أي بإشباع كسرة الميم ؛ لأنه كره أن يجمع بين ياء وضمة والهاء ليس بحاجز حصين ، وأبدل من الواو ياءً لَمّا كُسِر ما قبلها ؛ لأن الأصل الواو ؛ مما أدى إلى إثبات الياء لفظاً وخطاً نتيجة للمد الصوتي الحاصل من الإشباع ،وتمثيل ذلك كالآتي :

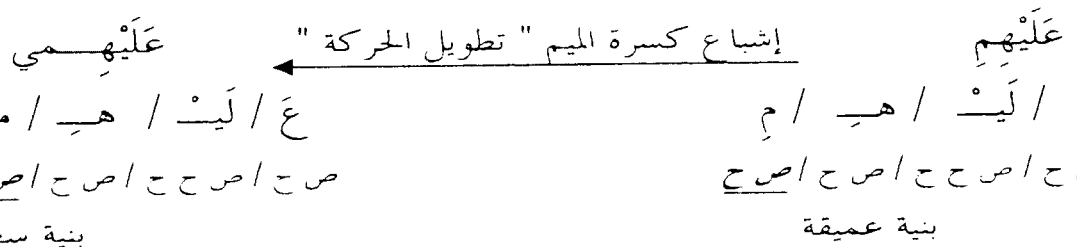

وذكر الفراء [2] أن ضم الهاء وكسرها في " عليهُم " لغتان فيهما ، ولكل لغة منهما مذهب في العربية ، فأما من ضم فقد أتى بها على الأصل ؛ لأن الأصل في الهاء الضم رفعاً ونصباً وجراً تقول : " هُم ، وضربَهُم ، وكتابَهُم "،بضم الهاء في الأمثلة الثلاث مع أنها في المثال الأول في حالة رفع ، وفي الثاني في محل نصب ، وفي الثالث في محل خفض ، فلا يجوز كسرها ولا

---

(1) انظر الدر المنثور في التفسير المأثور ١ / ٤١ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٤٨ ، والبحر المحيط ١ / ٢٦، وتفسير البغوي ١ / ٥٤ .

(2) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ٥ .

فتحها ؛ ولهذا تُركت في " عليهُم " على جهتها الأولى . وأما من قرأ بكسر الهاء في " عليهِم " فإنه استثقل الضمة على الهاء وقبلها ياء ساكنة ؛ فكسر الهاء لكثرة دور الضمير في الكلام . وهكذا حال الهاء إذا ما لحقت بحرف مكسور نحو : " بِهُم ". فلهم فيها وجهان : الكسر أو الضم حيث جوزوا الوجهين في الهاء مع الياء الساكنة قبلها . وقيل الأصل[1] في ميم الجمع في " عليهم " أن تكون بعدها واو ؛ لتكون للمذكر علامتان هما : الميم ، والواو كما كان للمؤنث علامتان وهما النونان في " عليهنَّ " ، فالنون الأولى إزاء الميم ، والثانية بإزاء الواو ، حيث إن الميم لمجاوزة الواحد من غير اختصاص بالجمع - بدليل وجودها في المثنى - والواو للجمع غير أنهم حذفوها بعد الميم ؛ للتخفيف مع عدم اللبس ؛ لأن ضمير الواحد خالٍ من الميم ، وضمير المثنى بعد ميمه ألف ، لذا فاللبس بينهم غير واقع في عدم وجود الواو بعد ميم الجمع فلا حاجة للواو بعد الميم في الجمع فحذفوها للتخفيف .

ومن القراءات في " عليهم " أيضا [2] قراءة أهل المدينة " عَلَيهِمْ " بكسر الهاء وإسكان الميم ، وهي لغة أهل نجد ، وقراءة حمزة وأهل الكوفة " عَلَيهُمْ " بضم الهاء وإسكان الميم وحذف الواو ؛ لثقل الواو عندهم ، وحُكي " عَلَيهُمُ ، وعَلَيهِمِ " بضم الهاء والميم أو كسرهما بغير إشباع للضمة أو الكسرة، وهما لغتان شاذتان فيهما .

---

(١) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٧٧ .
(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ١٧٤ / ١٧٥ .

القضايا الصرفية

تمثلت القضايا الصرفية في " فاتحة الكتاب " في عدة ظواهر هي : ظاهرة الاشتقاق ، والوزن الصرفي ، وظاهرة الحذف الصرفي أي : الحذف في بنية الكلمة ، والإبدال والإعلال الصرفيين .

أ- الاشتقاق والوزن الصرفي : الاشتقاق : يعد من القضايا التي أثارت جدلاً واسعاً بين العلماء ، حول أصل الاشتقاق .

والاشتقاق *لغةً* : هو أخذ شق الشيء وهو نصفه ، و" اشتقاق الشيء هو بنيانه من المرتجل ، واشتقاق الكلام : الأخذ فيه يميناً وشمالاً ، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه " [1].

واصطلاحا : له عدةُ تعريفات[2] منها أنه : اقتطاعُ فرع من أصل ، يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل ، أو أخذُ كلمة من أخرى بتغيير ما ، مع مراعاة التناسب بينهما في المعنى ، أو ردُّ كلمةٍ إلى أخرى ؛ لتَناسُبِهما في اللفظ والمعنى ، أو استخراجُ لفظٍ من لفظٍ آخر ، أو صيغةٍ من أخرى يشترط تناسبهما معنىً وتركيباً ، ومغايرتهما صياغةً ، وضده الجمود . وقسمه العلماء إلى اشتقاق أصغر ويُقصد به الاشتقاق الصرفي ، واشتقاق أكبر كما سماه ابن جني[3] وهو أن يكون بين كلمتين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب .

أما الوزن الصرفي : فإن الصرفيين [4]ينظرون إلى أنَّ وزن الكلمة يكون باعتبارين :

---

(1) لسان العرب ٧ / ١٦٧ .

(2) انظر فقه اللغة العربية وخصائصها ص ١٨٦ ، وفقه اللغة وخصائص الغربية ص ٨٥ : ٨٧ ، ومن أسرار العربية ص ٦٢ ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية ص ١١٦ ، وشذا العرف في فن الصرف ص ٥٤ ، وفقه اللغة ، د . علي عبد الواحد ص ١٧٨ .

(3) انظر الخصائص ٢ / ١٣٣ : ١٣٤ .

(4) انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٤٩ : ٥٠ .

الأول : اعتبار أصواتها ، بحيث إن مهمة الوزن أن يُقابل أصوات الموزون بأصوات الميزان التي هي " فعل " ، بحيث يُقابل أول أصول الكلمة بالفاء ، وثانيها بالعين ، وثالثها باللام ،كما أنه يقابل بين صوائت كل منهما أيضاً ، دون أدنى مخالفة ، وهذا يدل على أن أصوات الميزان الصرفي منقسمة إلى مجموعتين : مجموعة الصوامت المتمثلة في مادة الوزن (فَعَلَ) ، ومجموعة الصوائت " الحركات " ويُؤتى بها من الموزون .

الثاني : اعتبار إيقاعها ، وهذا مرتبط بنوع المقطع ، وتوزيعه داخل الصيغة الموزونة ، فتحدث المقابلة بين المقاطع ، فيُقابَل المقطع القصير بقصير مثله والطويل بطويل مثله ، مفتوحاً كان أو مغلقاً ، دون النظر إلى عناصر المقطع الواحد من الأصول أو من الزوائد . هذا الوزن الإيقاعي الذي يشير إليه الصرفيون أحياناً بقولهم " الجمع على مثال مَفاعِل " ، ويندرج تحت هذا الإيقاع أوزان صوتية عديدة مثل : فعائل ، وفواعل ، وفعاوِل ، وفعالى ، وفياعِل وأفاعل ، وفعالل ،مضافاً إليها أصل الباب وهي الصيغة المثالية "مَفاعِل"

اشتقاق ووزن " اسم" : من مواضع الاشتقاق في فاتحة الكتاب اشتقاق لفظة " اسم " وقد وقع خلاف [1]بين مدرستي البصرة والكوفة حول هذا الموضوع ، حيث يرى الكوفيون أنه مشتق من " الوسم " وهو العلامة ؛ لأن الاسم علامة على مسماه ، قال الأنباري : " يقول ثعلب[2] : الاسم علامة تُوضع على الشيء يعرف بها ، والأصل " وسم " إلا أنه حُذفت منه الفاء ، التي هي الواو في وسم ، وزيدت الهمزة في أوله عوضاً عن المحذوف " [3]، وقد

---

(1) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٧ ، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام ١ / ١٦ :١٨ ، وتفسير الثعالبي ١ / ٢٠ : ٢١ ، والتبيين عن مذاهب النحويين ص ١٣٢، والتفسير الكبير ١ / ١٠٧ ، وشرح مجموعة شافية ابن الحاجب ٢ / ٢٥٨، وشرح المفصل ١ / ٢٣ .

(2) هو أحمد بن يحيى النحوي بن يزيد المعروف بثعلب ت ٢٩١هـ . انظر طبقات النحويين واللغويين ص ١٤١ : ١٥٠ .

(3) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ١ / ٦ .

استدل الكوفيون على ما ذهبوا إليه بدليل معنوي فقالوا : " إنما هو مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة ، والاسم وسمٌ على المسمىّ ، وعلامةٌ له يُعرَف به ، ألا ترى أنك إذا قلت : زيدٌ أو عمرو دل على المسمى فصار كالوسم عليه "[1]، وذهب البصريون إلى أن الاسم مشتق [2] من " السمو " فهو من " سِمْو " بوزن" حِمْل " ، أو " سُمْو " بوزن " فُعْل "، حذفت لامه؛ لمجرد التخفيف ، أو لكثرة الاستعمال ، وهو العلو والرفعة من سما يسمو سمواً ؛ لأن التسمية تنويهٌ بالمسمى ، والاسم يعلو على المسمى ويدل على ما تحته من المعنى فلما سما الاسم على مسماه صار اشتقاقه من السمو لا من الوسم ويُروى[3] : سِمَه ، وسُمَه ، وإسم ، وأُسم بكسر الأول وضمه ، وذكر الرازي أن من كسر الأول جعله من : " سما – يَسمي "،ومن ضم جعله من :" سما – يسمو " ، وبالرغم من أنَّ كِلا المذهبين صحيح [4]من جهة المعنى ، إلا أن تصاريف هذه الكلمة تُرجِّح ما ذهب إليه البصريون ؛ إذ إنها تُجمع على أسماء ، وتُصغر على سُمَيّ ، وجمع التكسير والتصغير يرُدَّان الأشياءَ إلى أصولها ، كما أنَّ العرب تقول : سَمَّيتُ فلانا بكذا ، وأسميتُه كذا ، وكل ذلك يدل على صحة اشتقاقها من " السمو " ، إذ لو كانت من " السمة " لكُسِّرت على أوسام ، وصُغِّرت على وُسَيم ، ولقال العرب وَسِمُك فلانٌ ، وأوسَمتُ فلاناً بكذا ؛ فدلّ عدم قول العرب بذلك على ترجيح ما ذهب إليه البصريون أيضاً . ويقول العكبري : " الاسم مشتق من السمو عندنا ، وقال الكوفيون من الوسم

---

(1) الإنصاف ١ / ٦ ، وانظر شرح شذور الذهب ص ١٤ .
(2) انظر الكتاب ٣ / ٤٥٥ ، والمقتضب ١ / ٣٦٤ ، والمنصف ١ / ٦٠ ، وشرح المفصل ١ / ٢٣ ، وتفسير التحرير والتنوير ١ / ١٤٨ .
(3) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٥٣ ، والتفسير الكبير ١ / ١٠٧ ،
(4) انظر إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش ١ / ٢٣ .

فالمحذوف عندنا لامه ، وعندهم فاؤه "[1]، كما ذكر[2] أن علة جعل البصريين الاسم من السمو هي : أن الاسم يُنوِّه بالمسمى ويرفعه للأذهان بعد خفائه ، وهذا معنى السمو ، وعلة قول الكوفيين أنه من " السمة " هي أن الاسم علامة على المسمى ، والعلامة تؤذن أنه من الوسم وهو العلامة ؛ لهذا يجب أن يكون مشتقاً منها ، وقد ردَّ العكبري رأي الكوفيين هذا معللاً بأن اتفاق الأصلَين في المعنى ــ وهو العلامة ــ لا يوجب أن يكون أحدهما مشتقا من الآخر، فقولك : " دَمَثَ ، ودَمْثَر " بمعنى واحد ، ولكن ليس أحدُهما مشتقاً من الآخر ، وأبعد من ذلك " الأسد ، والليث " بمعنى واحد ولا يجمعهما اشتقاق .

وقد رجَّحَ أبو حيان رأيَ البصريين فقال : " ويُقال " اسم " بكسر همزة الوصل وضمها ، و" سِم " بكسر السين وضمها ، وسُمى كهُدى ، والبصري يقول مادته : سين وميم وواو ، والكوفي يقول : واو وسين وميم ، والأرجح الأول ، والاستدلال في كتب النحو " [3] ،كما استدل المبرد [4] أيضاً على صحة ما ذهب إليه البصريون ، بأن تصغيره يكون على " سُمَيّ "، ورفض أن يكون أصله من الوسم ــ وقد صرَّحَ بذلك حينما أدرج كلمة " اسم " تحت ما حُذِف منه الواو ــ ولو كان من الوسم لصُغِّر على " وُسيم " ، كما أنه يقال في تصريفه : سَمَّيتُ ولو كان من السمة لقيل " وسَّمتُ " .

وقد أفرد الأنباري في كتابه الإنصاف مساحة لمناقشة هذه المسألة انتصر فيها للبصريين ، وذكر أن من علل البصريين في الاستدلال على أن الاسم من السمو أي : العلو ؛ أنه قد علا على الفعل والحرف ، لأنه لما كان الفعل مما

---

(1) مسائل خلافية في النحو للعكبري ص ٥٩ . ولم يثبت عن شيوخ الكوفيين كالكسائي ، والفراء ، وثعلب أنهم ذهبوا إلى أن الاسم من السمة أو الوسم ، وربما كان هذا الرأي منقولاً عن المتأخرين منهم . انظر نفس المرجع هامش (٢) من ص ٥٩ .

(2) انظر التبيين عن مذاهب النحويين للعكبري ص ١٣٧ : ١٣٨ .

(3) البحر المحيط ١ / ١٤ .

(4) انظر المقتضب ١ / ٨٢ ، ٢٢٩ ، وتفسير البغوي ١ / ٥٠ ، وتفسير السمعاني ١ / ٣٢ .

يُخبر به ولا يُخبر عنه ، والحرف لا يُخبر به ولا يُخبر عنه ، والاسم مما يُخبر به ويُخبر عنه فقد علا الاسم وسما على الفعل والحرف ؛ فدلَّ ذلك على أنه من السمو . كما ردَّ على الكوفيين ودحض حجتهم من خمسة أوجه لا داعي لذكرها هنا تجنبا للإطناب ، وقال السمين الحلبي : " وأيضا جَعْلُهُ من السمو مُدخِلٌ له في باب الأكثر ، وجَعلُهُ من الوسم مُدخِلٌ له في باب الأقل ؛ وذلك لأن حذفَ اللام كثيرٌ وحذْفَ الفاءِ قليلٌ ، وأيضاً فإنَّا عهدناهم غالبا يعوضون في غير محل الحذف ، فجَعلُ همزة الوصل عوضا من اللام موافقا لهذا الأصل ، بخلاف ادّعاء كونها عوضاً من الفاء " [1]. وبهذا تكون كلمة " اِسْم " على وزن : " اِفْع " عند البصريين[2]، وعند الكوفيين على وزن : " اِعْل ". هذا ما يخص القدماء حول اشتقاق " اسم " وما دار بينهم من جدال وخلاف حول أصل الاشتقاق ، حيثُ أجمعوا على أنّ لهذه اللفظة أصلاً ثالثاً محذوفاً وهو " الواو " ، ثُمّ اختلفوا حول تحديد موضعها من الكلمة ، فجعلها البصريون لام الكلمة ، في حين ذهب الكوفيون إلى أنها فاء الكلمة ، أما عن رأي علمائنا المحدثين في ذلك فيقول أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب : " اسم من الكلمات الثنائية فليست الهمزة ... إلا همزة وصل لا تعويضاً عن الفاء في رأي الكوفيين ، ولا عن اللام في رأي البصريين "[3] ، هذه الحقيقة نفسها التي توصل إليها أحد الباحثين [4] المحدثين في بحثٍ أعده تناول فيه اشتقاق كلمة " اسم " في اللغة العربية ، مقارناً ذلك باللغة العبرية والسريانية والحبشية في كثير من جوانبه ، وفي الآرامية والآشورية في بعض جوانبه ، حيث توصل من خلال بحثه

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١ / ١٧ .
(٢) انظر الإنصاف ١ / ٦ : ٨ ، والمقتضب ١ / ٢٢٩ : ٢٣٠ .
(٣) في قواعد الساميات ص ١١٦ .
(٤) انظر بحث منشور د . عبد الحفيظ أحمد بكري بعنوان " اشتقاق الاسم في ضوء علم اللغة المقارن ص ١٤١ .

إلى أن هذه الكلمة من الكلمات الثنائية في اللغة ، وليس فيها محذوف ، وهو ما يؤيد رأي أستاذنا الدكتور رمضان .

اشتقاق ووزن لفظ الجلالة " الله " : لقد وقع خلافٌ كبير بين العلماء حول أصل اشتقاق هذا الاسم " الله "، ويمكن تقسيم هذا الخلاف إلي قسمين :

الأول : اختلافهم حول هل هذه الكلمة مشتقة أم لا ؟

الثاني : اختلافهم حول مادة الاشتقاق نفسها . حيث ذهب بعضهم إلى أن لفظ الجلالة اسم علم موضوع[1] ليس له اشتقاق ، فهو أجَلُّ من أن يُذكر له اشتقاق ونُسب هذا القول إلى الكسائي ، وذهب آخرون إلى أنه اسم مُعرَّب[2] عن السريانية والأصل فيه " إلاها " بالألف ، حيث عُرِّبَ بحذف الألف وتعويض اللام ،كما ذُكِرَ[3] أنه نُقل عن الخليل في هذه المسألة روايتان : إحداهما أنه ليس بمشتق ، والأخرى أنه مشتق من " الإلاهة " بمعنى العبادة ، و" الإلاهة "[4] على ما فسره ابن عباس ومجاهد هي المصدر من قول القائل : ألَّه الله فلانٌ إلاهةً ، فالأصل فيه " إلاه " على وزن " فِعال " ، وذكر ابن يعيش[5] أن سيبويه ذهب في بعض أقواله إلى أن " الله " اسم مرتجل للعلمية غير مشتق فلا يجوز حذف اللام منه . وقيل[6] إنه مشتق من مادة " ل ، ي ، هـ " من " لاه يليه " بمعنى تَستَّر كأنه سبحانه سُمي بذلك ؛ لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار له ، أو بمعنى الارتفاع ؛ لأن العرب كانت تقول للشيء المرتفع " لاه " ، فالألف من "لاه " منقلبة عن ياء بدليل قولهم : " لَهْيَ أبوك " أي :

---

(١) انظر تفسير السمرقندي ١ / ٦ ، ونتائج الفكر في النحو ص ٥٠ ، ونسب السهيلي هذا الرأي إلى شيخه ابن العربي ، وزاد المسير ١ / ٥ ، وتفسير البغوي ١/ ٥٠.

(٢) انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام ١ / ١٦ .

(٣) انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام ١ / ٢٠ ، وتفسير النسفي ١ / ٤ ، وذكر النسفي أنه لا اشتقاق له عند الخليل ، والدر المصون ١ / ٢٤ : ٢٥.

(٤) انظر تفسير الطبري ١ / ٤٢ .

(٥) انظر شرح المفصل ١ / ٣ .

(٦) انظر تفسير البحر المحيط ١ / ١٥، ومجمع التفاسير ١ / ٢٠ ، وشرح الفصل ١ / ٣ هامش (٢)، والفريد ١ / ١٥٤ : ١٥٥ .

للهِ أبوك ، فالأصل " لَيَها أو لَيِها " والوزن " فَعَلَ ، أو فَعِلَ " تحرَكَ حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفاً ؛ فصار " لاه " ، ثم دخلت الألف واللام ؛ فصار " اللاه " أُدغمت لام التعريف في لام الكلمة بعدها ، وفُخّمت اللام . وقيل : مشتق من مادة " ل ، و، هـ" من " لاه ـ يلوه ـ لوهاً "، وقيل : من " وَلِه " أي : طَرِب ، والأصل " وِلاه " بزنة " فِعال "، أُبدلت الواو همزة كما في: " وِشاح ـ إِشاح " ؛ فصار " إلاها " ، حذفت الهمزة ودخلت عليها " أل" وأدغمت اللامان ، وسُمي بذلك ؛ لأنَّ كلَّ مخلوقٍ والِهٌ نحوه إما بالتخيير أو بالإرادة ، ورُدَّ هذا القول بأنه لو صح ذلك لصح النطق بالأصل الذي هو " وِلاه " كما يُقال : " وِشاح ، ووِعاء "، ولكن ذلك لم يحدث ، كما أنه لو صح أن الأصل فيه " وِلاه " لجُمع على : أَولِهَة مثل : أوشِحة ؛ فلما لم يَرِدْ هذا الجمع سقط هذا القول ، وضعّف أبو حيان[1] هذا القول أيضا ؛ للزوم البدل ، وردَّ السمينُ الحلبي على ذلك بقوله : " وللخليل أن ينفصل عن هذين الاعتراضين : بأن البدل لَزِمَ في هذا ؛ لأنه اختص بأحكام لم يشركه فيها غيره، ثم جاء الجمع على التزام البدل " [2]. وقد اختلفوا [3] في الفرق بين " الإله " و" الله " فقالوا أنهما مختلفان لفظاً ومعنىً ، أما من حيثُ اللفظ: فإن الله من " لاه " معتل العين ، و" إله " مهموز صحيح العين واللام ، فهما من مادتين مختلفتين وردهما إلى أصل واحد فيه سوء تصريف . وأما من حيث المعنى : فإن " إله " اسم لكل معبود ، أما " الله " فهو خاص به تعالى وحدَهُ جاهلية وإسلاماً ، وقيل : هما عَلَمٌ لذاته إلا أنه قبل الحذف قد يطلق على غيره تعالى ، وبعد الحذف لا يطلق على غيره ، غير أنّ بعضهم ذهب إلى[4] أنه لا يُعرَف في كلام

---

(1) انظر البحر المحيط ١ / ١٥ .
(2) الدر المصون ١ / ٢٦ .
(3) انظر روح المعاني ١ / ٥٤ : ٥٥ .
(4) انظر عمدة التفسير ١ / ٧٠ ،

العرب اشتقاق للفظ " الله " ؛ لأنه اسم لم يُسَمَ به غير المولى ـعز وجل ـ فهو على سبيل الاستدلال ذلك ما دفع بعضهم إلى أن يُعِدَّه من الأسماء الجامدة ، وذهب آخرون[1] إلى أن الأصل فيه " إلاه " بزنة " فِعال " بمعنى المفعول من قولهم : أَلِه الرجل يأْلَه إلاهةً أي : عبد عبادةً ، فهو مصدر بمعنى : المألوه ، قال رؤبَة بن العجاج :

لله دَرُ الغانياتِ المُدَّهِ سبَّحْنَ واسترْجَعْنَ من تألُّهي .

فالأصل فيه " الإله " ، حذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة تخفيفاً ؛ لكثرة الاستعمال ـ وقيل : اعتباطاً ـ وأُدخِلت " أل " للتعظيم ودفع الشِّياع ـ لأن الكفار ذهبوا إلى تسمية أصنامهم وما يعبدونه " آلهة " فصار الاسم إلى" الله "ـ فالتقت اللام التي هي عين الكلمة ، واللام الزائدة في أول اللفظ للتعريف ، ثم أدغمتا فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة ؛كراهة اجتماع المثلين ، وفُخمت للتعظيم ، وصارت الألف واللام [2]كأنها عوض من فاء الكلمة المحذوفة التي هي همزة " إله " ؛ فلزِمتا الاسم ، فصارتا كأحد حروف الاسم لا تفارقانه ؛ ولذلك قد يقطعون الهمزة في النداء والقَسَم فيقولون : يا ألله ، وأنا ألله لأفعلنّ . وقيل : العِوَض هو ألف "فِعال" . وذكر المنتجب [3]أن هذا الاسم قد خُصَّ بالتفخيم ، وبالقطع في النداء ، وبالعوض فيه تقول : " اللهُمَّ "؛ وما ذاك إلا لتفخيمه وتعظيمه واختصاصه ، إذْ لم يطلق على غيره سبحانه ، ولم يستَحسِن المنتجب القول بأنه اسم علم مع رفض أن يكون أصله " إلاه " ، وذهب إلى أن هذا الرأي ليس بالمتين ـ وهو رأي المازني ـ ؛ لأن كل اسم علم لابد أن يكون له أصل نُقل عنه ، وقال أبو السعود : " والله أصله " الإله " حُذفت

---

(1) انظر تفسير الطبري ١ / ٤١، وشرح المفصل ١ / ٣ ، والفريد ١ / ١٥٥، ٥٧ ، و تفسير السمعاني ١ / ٣٣ ، وتفسير البغوي ١ / ٥٠، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٣، وعمدة التفسير ١ / ٧١، وتفسير النسفي ١ / ٥ ، ١١ ، وروح المعاني ١ / ٥٤ : ٥٨ ، والكافية ١/ ١٤٥، والدر المصون ١/ ٢٥.

(2) انظر الكشاف ١ / ٦ ، وشرح المفصل ١ / ٣ .

(3) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٥٦ : ١٥٧ .

همزته على غير قياس ، كما ينبئ عنه وجود الإدغام ، وتعويض الألف واللام عنها حيث لزماه وجُرِّدا عن معنى التعريف ؛ ولذلك قيل في النداء " يا أللهُ " بالقطع فإن المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج إلى التدارك بما ذُكر من الإدغام والتعويض ، وقيل على غير قياس تخفيف الهمزة ؛ فيكون الإدغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ؛ ليمتاز بذلك عما عداه " [1] . وقال الفخر الرازي : " المختار عندنا أن هذا اللفظ اسم علم لله تعالى وأنه ليس بمشتق ألبته ، وهو قول الخليل وسيبويه وقول أكثر الأصوليين والفقهاء " [2] . واحتج الرازي لصحة قوله هذا بأن القول باشتقاق لفظ الجلالة لا يمنع من وقوع الشِّراكة فيه بين كثيرين ، إذ إن الاشتقاق لا يمنع من دخول كثيرين تحت هذا اللفظ ، وهذا يتنافى مع بيان التوحيد ، واستُدِل [3] على صحة قول الرازي أيضا بما جاء في قوله تعالى : " هل تعلم له سميًّا " [4].

في ضوء ما سبق يتضح أن العلماء تجاه اشتقاق لفظ الجلالة على عدة مذاهب : مذهب يرى أنه اسم مرتجلٌ للعلمية موضوعٌ لا اشتقاقَ فيه ، وهو أحد قولي الخليل وسيبويه ، ونُسب للكسائي . ومذهب يرى أنه مشتق واختلف أصحابه ، فمنهم من رأى اشتقاقه من " لاه " والأصل " لَيَه " ، أو " لَوَه " ، ومنهم من رأى اشتقاقه من " وَلِهَ " ، ومنهم من ذهب إلى أنه اسم علم مشتق من " إلاه " . ونتيجة لهذا الاختلاف اُختلف [5] في الألف واللام في أوله فهما زائدتان إذا كان اللفظ غير مشتق ، وقد شذ حذفهما في " لاه أبوك " ، والأصل "لله أبوك" ، وهما للتعريف إذا كان اللفظ مشتقاً ، واستدل [6] السمين

---

(1) تفسير أبي السعود ١ / ١٠ .
(2) التفسير الكبير ١ / ١٥٦ ، وانظر إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٣ ،.
(3) انظر مجمع التفاسير ١ / ١٩ : ٢٠.
(4) سورة مريم من الآية (٦٥) .
(5) انظر البحر المحيط ١ / ١٥ ، والدر المصون ١ / ٢٧ .
(6) انظر الدر المصون ١ / ٢٨ .

الحلبي على زيادة " أل " وعدم أصالتها في لفظ الجلالة بعدم التنوين فيه ؛ لأن وزنه حينئذ يكون على " فعّال " وليس في هذا الوزن ما يمنعه من الصرف ، فدل عدم صرفه على أن " أل " فيه زائدة غير أصلية ، كما استغرب القول بأصالتها ، واستغرب القول بأن لفظ الجلالة معرَّب من السريانية .

اشتقاق ووزن " الرحمن " ، و" الرحيم " : ذهب الخليل [1] إلى أنهما مشتقان من الرحمة أي : من الفعل " رَحِمَ " ، وجاء الاشتقاق فيهما على وجه المبالغة [2] ، وهو مذهب الجمهور ، والمعنى : ذو الرحمة التي لا نظير لها ، وذهب بعضهم [3] إلى أن " الرَّحمنِ ، والرَّحيمِ " لا اشتقاق لهما ؛ لأنهما من الأسماء المختصة به سبحانه ، ونسب النسفي [4] هذا القول للخليل ، وقيل : " الرحمن " اسم عبراني [5] فجيء معه بالرحيم الذي هو عربي ؛ ولهذا جُمع بينهما ، وهذا القول مرغوب عنه ، وقال أبو حيان : " ومن غريب ما قيل فيه أنه أعجمي بالخاء المعجمة فعُرِّب بالحاء ، قاله ثعلب "[6] . أما عن وزن كل منهما فهو كالآتي :

رَحْمَن : بزنة " فَعْلَانِ " ، وأصل بنائه من الفعل اللازم [7] من المبالغة ، وشذ من المتعدي ، وقد عللَّ السهيلي [8] لدلالة " فَعْلان " على المبالغة بأنه إنما دخلها معنى المبالغة من حيث كان في آخر اللفظ ألف ونون مثل لفظ المثنى الدال على تضعيف المفرد ؛ لهذا جعلوا كل ما شابه التثنية دال على المبالغة ، ومنعوا فيه الجمع ، والتأنيث ، فلا يُقال : " سَكرانينَ " ، و" لا غَضبانينَ " ،

---

(١) انظر معجم العين للخليل ٣ / ٢٢٤، ومعجم اللغة وصحاح العربية للجوهري مج ٥ ص ١٩٢٩.
(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٠ ، وروائع البيان ١ / ٢٠ .
(٣) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٠٣ : ١٠٤ ، وذهب القرطبي إلى أنه لو كان " الرحمن " مشتقاً من الرحمة ؛ لاتصل بذكر المرحوم فجاز القول : الله رحمن بعباده ، كما يقال : رحيم بعباده ، ولم تنكره العرب حين سمعوه ، أي : لكان وصَلنا تعبيرهم : الله رحمن بعباده (انظر ص ١٤٠: ١٤١) .
(٤) انظر تفسير النسفي ١ / ٤ .
(٥) انظر معجم لسان العرب ٥ / ١٧٤ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٤٢ .
(٦) البحر المحيط ١ / ١٥ .
(٧) انظر السابق ١ / ١٥ .
(٨) انظر نتائج الفكر في النحو ص ٥٤ .

كما لا يقال : سكرانة ، ولا غضبانة ، وكذلك لا يلحقها التنوين ،و" فَعْلان " وزن للكلمة في صورتها الملفوظة لا المكتوبة وفي هذا الوزن ثبوت[1] جميع معناه للموصوف به ، ألا ترى أنهم يقولون : غَضبان ، وسَكران ، ونَدمان ، وحَيران . للمتلئ غضباً ، وسُكراً ، ونَدَماً ،وحِيرةً ، فهو بناء للسعة والشمول .

وذكر أبو حيان أن في صرفه قولان[2] :

الأول : الصرف استناداً إلى أصل عام ، وهو أن الأصل في الاسم الصرف .

الثاني : المنع من الصرف استناداً إلى أصل خاص ، وهو أن أصل " فَعْلان " المنع ؛ لغلبته فيه ، مع عدم توافر شروط المنع التي توافرت في نظيره " حَيران ، وسَكران ، ونَدمان " ، إذ ليس له مؤنث[3] على وزن " فَعْلى " كما في : سَكْرى ، وعَطْشى ؛ فاختصاص هذا اللفظ بالله يحظُر أنْ يكون له مؤنث على " فَعْلى " ، كذلك حُظِر أن يكون له مؤنثٌ بزنة " فَعلانة " مثل : " نَدمانة ".

وهذا الوزن " فَعْلانِ " المقابل للصورة الملفوظة للكلمة " رَحْمانِ "مكون من ثلاثة مقاطع صوتية هي :

أ- مقطع طويل مغلق (ص ح ص) يقابل في الميزان " فَعْ " ، ويقابل في الموزون " رَحْ " .

ب- مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) مقابل لـ " لا " في الميزان ، ويُقابل في الموزون " ما " التي قُصِّرَت حركتها في الكتابة ؛ ذلك ما أدى إلى حذف الألف كرمز كتابي دال على طول الفتحة ، فَرُسِمَ المقطع ميماً مُحَركة بفتحة قصيرة هكذا " مَ " .

ت- مقطع قصير مفتوح(ص ح) في آخر الكلمة يُقابل " نِ " في الميزان ، ويُقابل في الموزون " نِ " أيضاً .

---

(1) انظر بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزيه ١ / ١٣٩ : ١٤٠ ، وتفسير النسفي ١ / ٥ .
(2) انظر البحر المحيط ١ / ١٥ .
(3) انظر الكشاف ١ / ٦ : ٧ ، وتفسير الطبري ١ / ٤٢ .

وبهذا يتضح أنَّ الرسم الكتابي للكلمة مختلفٌ عن النطق الصوتي ، فالرمز الكتابي هو : " رَحْمَنِ " ، والصوتي هو : " رَحْمانِ " ، حيث ظهر الشكل المكتوب خالياً من الرمز الكتابي ـ الألف ـ الذي يعبر عن حركة الفتحة الطويلة المحرَّك بها صوت الميم ، تلك الحركة التي تظهر عند النطق بالكلمة إذن ما حدث من تغيير هنا خاص بالرسم الإملائي دون المساس بالصورة الملفوظة أو المنطوقة للكلمة ، فهو حذفٌ كتابي ليس صوتيّاً .

رَحيم : بفتح[1] الراء بزنة " فَعيلِ " ، وهو قول أهل الحجاز ، وبني أسد ، وبكسرها " رِحيم " عند قيس ، وتميم ، وربيعة كما يقولون : رِغِيف ، وبِعِير وهو مشتق من الفعل " رَحِمَ "، كمريض من " مَرِضَ " ، و" رحيم " بمعنى :[2] " فاعل " أي : " راحِم " ، كما قالوا سميع بمعنى : سامع ، وقدير بمعنى : قادر ، إلا أنَّ في " الرحمن " من المبالغة ما ليس في" الرحيم " ، ومن أجل هذه المبالغة الزائدة في " الرحمن " قيل في الدعاء " يا رحمن الدنيا " ؛ لأن رحمته تعُم المؤمن والكافر ، وقيل " يا رحيم الآخرة " ؛ لأن رحمته تخص المؤمن فقط ، وقيل [3]: " الرَّحيم " أبلغ من " الرَّحمن " ؛ لأنه أُخر في الرتبة مراعاة للقاعدة ؛ لأن القاعدة عندهم تأخير الأبلغ ، وقال بعضهم هما سواء مثل : ندمان ، ونديم قال برج بن مسهر الطائي :

وندمان يزيدُ الكأسَ طيباً سقيتُ وقد تغَوَّرتِ النجومُ .

الشاهد في البيت : ندمان بمعنى : نديم ، فكذلك : رحيم ، ورحمن بمعنى واحد وقيل[4] : " فَعيل " لمن كثُر منه الفعل ، و" فَعْلان " لمن كثُر منه وتكرر .

وهذا الوزن " رحيم " يتكون من ثلاثة مقاطع صوتية أيضاً هي :

---

(1) انظر تفسير الطبري ١ / ١٧ .
(2) انظر لسان العرب ٥ / ١٧٣ : ١٧٤ ، وزاد المسير ١ / ٦ ، ومجمع التفاسير ١ / ٢٤ .
(3) انظر فوائد في مشكل القرآن ١ / ٣٨ .
(4) انظر تفسير روح المعاني ١ / ٥٩ ، وتفسير الثعالبي ١ / ٢١ .

١- مقطع قصير(ص ح) متمثل في صوت الراء" رَ " المحرَّك بفتحة قصيرة .

٢- مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) متمثل في صوت الحاء المحرَّك بكسرة طويلة " حيـ" ، دلَّ عليها الرمز الكتابي الياء بعد الحاء .

٣- مقطع قصير (ص ح) المتمثل في صوت الميم " مِ " المحرَّك بكسرة قصيرة .

اشتقاق ووزن " ربّ " : اختلف العلماء [١] حول الأصل والوزن في " ربّ " فقيل : هو مصدر وُصِفَ به على أحد وجوه الوصف بالمصدر ، وقيل هو بزنة " فَعَل " مثل : نَمَّ ـ يَنُمّ فهو نَمّ ، وقيل : وزنه " فاعل " وأصله " رابّ " حذفت الألف ؛ لكثرة الاستعمال كما في " بَرّ " ، " بارّ " ، ويجوز أن يكون صفة مشبهة باسم الفاعل [٢]مصوغة من فعل متعد ؛ فلا بد من تقديره لازما بالنقل إلى فَعُلَ بضم العين ، وهو من ربّ يُرَبّه ، مثل : طَبَّه يطُبُّه فهي " طَبّ "بفتح الطاء ، و" طِبّ "بكسر الطاء : مصدر ، وقد اتحدت الصيغتان المصدر والصفة في " ربّ " . وقيل : هو مصدر في معنى الفعل نحو : رجلٌ عَدْلٌ ، وصَوْم ، وقيل : صفة[٣] مشبهة على وزن " فَعْل " من : رَبَّه يَرُبُّه بمعنى ربّاه ، وهو ربّ بمعنى مُرَبٍّ وسائس ، وهو الأظهر .

اشتقاق ووزن " العالمين " : " العالمين " من الأسماء المشتقة ، وقد اُختُلِفَ حول أصل اشتقاقه وفي ذلك رأيان [٤] :

---

(١) انظر زاد المسير ١ / ٨ ، والبحر المحيط ١ / ١٩ ، والدر المصون ١ / ٤٤ : ٤٥ ، وفواند في مشكل القرآن ١ / ٤٧ ، والكشاف ١ / ٨ .

(٢) انظر إعراب القرآن وبيانه ١/ ٢٨ : ٢٩ .

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ١ / ١٦٦.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٥ ، وفواند في مشكل القرآن ١ / ٤٩ ، وزاد المسير ١ / ٨ ، وروائع البيان ١ / ٢٥ .

الأول : قيل : إنه من " العَلامة " ؛ لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ، وهو يقوي قول أهل النظر .

الثاني : قيل : إنه من " العِلْم " وعلى هذا فهو مختص بالعقلاء ، وهو يقوي قول أهل اللغة .

وهو على وزن " فاعلين " جمع [1] لا واحد له من لفظه ؛ لأنه جمع أشياء مختلفة ، فإن جُعل عالماً اسماً لواحدٍ منها صار جمعاً لأشياءَ متفقة ، والجمع " عالمون "، وذكر ابن منظور أنه لا يُجمع شيء على فاعل بالواو والنون إلا هذا. وذهب أبو حيان[2] إلى أن الجمع فيه شاذ ؛ لأنه اسم جمع ، وجمعه بالواو والنون أشذ ؛ للإخلال ببعض شروط هذا الجمع ، وذكر الجوهري [3]أن جمع عالم " عوالم " بزنة " فواعِل " ، وذهب الألوسي [4]إلى أن من قال أن "العالمين" اسم جُمِع على وزن السلامة ولا نظير له ففي ذلك نظر ؛ وذلك لأن الاسم الدال على أكثر من اثنين إن كان موضوعاً للآحاد المجتمعة دالاً عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف فذلك هو الجمع ، أما إن كان موضوعاً للحقيقة مُلغى فيه اعتبار الفردية فهذا هو اسم الجنس الجمعي مثل : تمر وتمرة ، وإن كان موضوعاً لمجموع الآحاد فهو اسم جمع ، سواء كان له واحد كما في : ركب ، أو لم يكن له واحد كما في : رهط . وقيل هو جمع [5]واحده " عالم " من العِلْم عند من جعله لذوي العلم ، ومن العَلَم والعلامة عند من جعله لجميع المخلوقات ، وجاء على صيغة جمع المذكر السالم العاقل ؛ للتغليب ، والمراد به جميع الكائنات ؛ ولذلك أدرجه النحاة تحت باب الملحق بجمع المذكر السالم .

---

(١) انظر لسان العرب ٩ / ٣٧٣ .
(٢) انظر البحر المحيط ١ / ١٩ .
(٣) انظر الصحاح ٥ / ١٩٩١ .
(٤) انظر روح المعاني ١ / ٧٨ .
(٥) انظر إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٩ ، والفريد ١ / ١٦٥ .

وقد عُلل تسويغ جمع " عالمين " بالياء والنون ـ مع أنه ليس بوصف من صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام ـ عُلل ذلك بأنّ معنى الوصفية موجود فيه ، وهي الدلالة [1] على معنى العِلْم . ولعلنا نُسلّم بصحة هذه العلة إذا كانت قائمةً على أنّ لفظ "العالمين" لا يتناول إلا أولي العلم فقط ، ولا يدل على أنه اسم لكل موجود سوى الله ، أي أن : الدلالة فيه للعاقل فقط ، كما أنّ الأمرَ يحتاجُ إلى شيءٍ من النظر في تغليب العاقل على غير العاقل في الجمع .

اشتقاق ووزن " إيّاك " : بالرُّغم من الخلاف الذي دار بينهم حول ماهيّة هذه الكلمة ، وهل هي ضمير أو اسم ظاهر ، إلا أنه قد ذهب بعضهم إلى القول باشتقاق " إيا " ، حيث ورد عن أبي عبيدة القول باشتقاقه وضعَّف ذلك أبو حيان [2]، وذكر أن أبا عُبيدة كان لا يُحسِن العربية ، كما اختلفت الآراء حول هذا الأمر فقيل : " إيا " مشتق من " إوّ " كما في مشطور قول الشاعر :

* فإوّ لذِكراها إذا ما ذكرتها *

وقيل هو من " الإيه " فتكون عين الكلمة ياءً كما في مشطور قول الشاعر :

* لم يُبقِ هذا الدهرُ من إيائهِ *

وإذا ما سلمنا بهذا القول على أنه مشتق من " إيه " ، فهل وزنه " إفعل " ؛ فيكون أصله : " إِأْوَو، أو إِأْوَي " ؟ ، أو وزنه " فعيل " ؛ فيكون الأصل فيه : " إيوو أو إيوي " ؟ ، أو بزنة " فعول ؛ فيكون أصله : " إووو أو إويي ؟ ، أو بزنة " فعلى ؛ فيكون أصله : إووب ، أو إوبا " ؟ كل هذه احتمالات وأقاويل أوردها أبو حيان على سبيل الضعف .

وزن " اهْدِنا " : الفعل " اهدنا " بوزن " اِفْعِنا " [3] من الفعل الماضي الناقص " هَدَى " ، والأصل فيه هو : " هَدَيَ " تقول القاعدة الصرفية : تحركت الياء

---

(1) انظر الكشاف ١ / ٩ : ١٠ .
(2) انظر البحر المحيط ١ / ٢٣ .
(3) انظر الدر المصون ١ / ٦٢ .

وانفتح ما قبلها فقُلِبت ألفاً ، ثم حُذفت لامه في الأمر ؛ نظراً لاعتلالها ، هـذا عند القدماء ، أما في ضوء المنهج اللغوي الحديث فإن التقسيم المقطعي للفعل هَدَيَ هو كالآتي : (ha /da / i-a)، إذ إن المقطع الأخير سوف يكون غريباً عن نسيج اللغة ؛ لأنه مؤلف من حركات فقط ـ وبالتحديد حركتين ـ؛ ولذلك أسقطت اللغة العنصر الأصلي في الازدواج ، وهو الكسرة ، وهو الذي ينشأ عنه الانزلاق[1] ، أي أنه تم إسقاط " لام الكلمة " ، فاتصلت الفتحتان القصيرتان لتُصبحا فتحة طويلة هكذا : ha/d a a ، فالفعل " هدى " بوزن : " فَعا " فهو إذن ثلاثي الأصل " في الرسم " ، ثنائي المنطوق .

ويمكن تفسير ما حدث في هذا الفعل على أنه : ما هو إلا تقصير للفتحة الطويلة الموجودة على الدال ؛ مما نتج عنه تحول في المقطع الصوتي من مقطع طويل مفتوح هو : " ص ح ح " " دى " متمثل في صوت الدال والرمز الكتابي " ى " إلى مقطع قصير مفتوح هو : " ص ح " متمثل في : صوت الدال" دَ " المحرَّك بفتحة قصيرة ، ويمكن توضيح ذلك صوتياً كالآتي :

هـَـ/دَ / يَ قلبُ الياء ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها هَـ/دى (فتحة طويلة)

ص ح / ص ح / ص ح ص ح / ص ح ح

بنية عميقة في الماضي بنية سطحية في الماضي

هـَـ/ دى الأمر منه اِهْـ /دي تقصير الحركة الطويلة اهْـ/ دِ

ص ح / ص ح ح ص ح ص / ص ح ص ح / ص ح

بنية عميقة في الأمر بنية سطحيّة في الأمر

وهذا الفعل مما يتعدى بنفسه إلى المفعول الأول ، ويتعدى إلى الثاني بواسطة حرف الجر " إلى أو اللام " ، غير أنه قد يُتَسع فيه فيُحذف حرف الجر ويتعدى بنفسه إلى المفعولين كما هو الحال في الآية " اهدنا الصراطَ المستقيمَ ".

---

(1) انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٨٦ : ٨٧ ، المقصود بالانزلاق هنا : هو تتابع حركتيّ الكسرة والفتحة "i-a "والذي نتج عنه الرمز الكتابي الياء .

وزن " الصِّراط " : كلمة " صِراط " غير عربية [1] الأصل ، فهي كلمة مأخوذة من اللغة اللاتينية ، وأصله في اللاتينية ستراتا Strata ، وهو الطريق الواسع الكبير المُعَبَّد ، إذن فهي كلمة مُعرَّبة لا نجد لها في اللغة العربية أصلاً ، إذ لا توجد مادة " ص ر ط " ، وهي بزنة " فِعال " [2] ، وإنما بنته العرب على هذا الوزن ؛ لأنه مشتمل [3] على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط ، ويَرِدُ هذا الوزنُ لكثير من الأشياء التي تشتمل على أشياء أخرى كاللِحاف ، والخِمار ، الرِّداء ، والغِطاء ، والكِتاب ، وهذا الوزن عند العرب يأتي لثلاثة معانٍ : الأول : معنى المصدر نحو : ضِراب ، وقِعال . والثاني : معنى المفعول نحو : كِتاب أي : مكتوب ، وسِراط أي : مسروط ، وبِناء أي : مَبْنِيّ ، ومنه قولهم : " إلاه " بمعنى " مألوه " . والمعنى الثالث : معنى يُقصد به قصد الآلة التي يحدث بها الفعل نحو : خِمار لما يُخمر به ، وغِطاء لِما يُغطى به ، وسِداد لما يُسد به .

ووجود الألف واللام في الصراط هنا [4] ـ وهو اسم موصوف بما بعده ـ يدل على استحقاقه بتلك الصفة من غيره ؛ لأن " أل " إذا دخلت على موصوف اقتضت أنه أحق من غيره بتلك الصفة ، والصراط مما يُذكر [5] ويُؤنث فالتذكير فيه لغة تميم ، والتأنيث لغة أهل الحجاز .

ب ـ الحذف الصرفي : أعني به ذلك الحذف الذي تتعرض له بنية الكلمة ، وأرى تقسيمه إلى نوعين :

---

(1) انظر اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ص ١٠١ ، وفقه اللغة العربية وخصائصها ص ٢١٩، و" الكلمة " دراسة لغوية معجمية ص ٦٩ .
(2) انظر بدائع التفسير ١ / ٢٣١ .
(3) انظر نتائج الفكر في النحو ص ٣٠٣ ، وبدائع التفسير ١ / ٢٣١ .
(4) انظر نتائج الفكر في النحو ص ٣٠٢ .
(5) انظر الدر المصون ١ / ٦٣ .

١- نوع عام : وأعني به الحذف الموجود أصالةً في بنية الكلمة بشكل عام أي : الحذف الذي تظهر عليه الكلمة في جميع مواضعها من الكلام .

٢- نوع خاص : وأعني به : ذلك الحذف الناتج عن بعض القراءات ، وهو حذف خاص بمواضع معينة في القرآن بحسب اختلاف اللهجات أو بتعبير آخر بحسب اختلاف القُراء ، وقد وردت عدة مواضع في فاتحة الكتاب وقع فيها حذف في بنية الكلمة سواء من العام ، أومن النوع الخاص ،كما في " اسم " ، ولفظ الجلالة " اللهِ " ، و" الرحمنِ " ، وغير ذلك من الكلمات التي سيرد ذكرها وبيان ما حدث فيها من حذف .

والحذف في شكليه : العام والخاص مؤدٍ دائماً إلى : إما تغيُّر في الرسم الكتابي ، أو تغيُّر في الأداء الصوتي ، أو تغير في كليهما معاً كما سنرى .

أ- *حذف ألف الوصل من " اسم "* : هو حذف يظهر في هذه الكلمة في البسملة دون غيرها من المواضع ، ويؤثر في الرسم الكتابي والأداء الصوتي معاً ، وقبل الخوض في الحديث عن حذف همزة الوصل هنا ، بجدر بي أن أقف على مجمل الآراء التي أُثيرت حول حقيقة هذه الهمزة " همزة الوصل " بشكل عام ، وعلة وجودها في أول كلمة " اسم " بشكل خاص ، وسبب حذفها منها ، ورأى المنهج اللغوي الحديث في ذلك .

وحقيقةً فإن قاعدة اجتلاب الهمزة في أول الكلمة قاعدة في الدرس اللغوي[١] التقليدي مرتبطة دائماً ومكملة لقاعدة أخرى وهي : " لا يجوز الابتداء بالساكن " ، ولأنه يُتوصَّل بالهمزة المجتلَبة إلى النطق بهذا الساكن ؛ سموها " همزة وصل " ، غير أنهم اختلفوا فيما بينهم حول سبب هذه التسمية وهم في ذلك على ثلاثة مذاهب[٢] :

---

(١) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٤٥ : ١٤٦ .
(٢) انظر السابق ص ١٤٥ .

الأول : قيل : إنها سُميت كذلك من باب المجاز ؛ لعلاقة الضدِّية ، لأنها تسقط وصلاً ، فكان حقها أن تُسمى همزة ابتداء .

الثاني : قيل: سميت همزة وصل ؛ لأنها لوصل ما بعدها بما قبلها عند سقوطها .

الثالث : سموها بالوصل ؛ لوصول المتكلم بها إلى النطق بالساكن كما يرى البصريون ، يقول ابن جني :" اعلم أن ألف الوصل همزة تلحق في أول الكلمة ؛ توصلاً إلى النطق بالساكن ، وهرباً من الابتداء به ، إذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة فضلاً عن القياس " [1]، واعتُرض عليهم بأنه كان من اللائق حينئذ تسميتها بهمزة الوصول أو التوصل لا الوصل[2] . وبالرغم من هذا الاختلاف الذي وقع بينهم إلا أنهم اتفقوا على أنها تظهر وتُحَقَق في ابتداء الكلام ، غير أنها تسقط في درجه ، كما أنهم اتفقوا على الدافع الذي من أجله تم اجتلاب همزة الوصل ــ بشكل عام ــ ، وهو تعذر النطق بالساكن ــ الذي هو الصوت الساكن غير المشكل بحركة ــ هذا الدافع الذي يقودنا إلى القول بافتراضية وجود احتمالين هما :

أ- تعذر أو استحالة ابتداء النطق بالساكن استحالة مطلقة ، بقطع النظر عما إذا كان قد وقع بالفعل أو لم يقع ، وهذا الاحتمال مردود بعدم تعذر أو استحالة ابتداء النطق بالساكن بشكل عام ،وإمكانية هذا النطق بوصفه إمكانية صوتية ، كذلك فإنه لا يمكن الظن بعجز الإنسان العربي عن أداء هذه الظاهرة الصوتية ، يتضح ذلك من خلال تصريح بعضهم ــ كالصبّا[3] ن مثلاً ــ الذي روى عن السيد الجرجاني والكافيجي من أن النطق بالساكن في ابتداء الكلام

---

(١) المنصف لابن جني ١ / ٥٣ .
(٢) انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢ / ١٧٩ .
(٣) انظر حاشية الصبان ٤ / ٢٠٥ .

ممكن لكنه مستثقل ، بل صرَّح بعضهم أيضاً[1] بأن قوماً قد جـوزوا الابتـداء بالساكن الصامت .

ب- تعذر أو استحالة هذا النطق بحسب الواقع والحقيقة ؛ لأنه لم يُسمع من أفواه العرب ، ومن ثَم أصبح هذا الأمر خاصةً من خواص لغتهم ولذا فقـد جيء بالهمزة للتخلص من هذا التعذر .

وخلاصة الأمر فإن النطق بالساكن في ابتداء الكلام ظاهرة حقيقة وقعت في كلام الناس في فترة من فترات تاريخ العربية ، وقد استطاع بعض الدارسين إدراك هذه الظاهرة بقوة الملاحظة ، ودقة الإحساس ، في الوقت الذي عجـز فيه آخرون عن إدراكها ، " ولكن ذلك لا يقدح في حقيقة الموضوع ، وهـي حدوث النطق بالساكن في ابتداء الكلام في العربية أو إحدى لهجاتها "[2]، بالإضافة إلى أن كتب اللغة تبين لنا أن هذه الظاهرة ليست غريبة عن اللغـات السامية ، أو في أقل تقدير فاللغة السريانية قد عرفت النطق بالساكن في ابتداء الكلام من ذلك على سبيل المثال: qtol (قْطُل) بمعنى : اقْـتُل ،كمـا أن هذه الظاهرة وُجِدَت في اللهجات العربية الحديثة في أنحاء الـوطن العـربي ، كلهجة بعض المناطق اللبنانية ، وغيرها ، أما عن رأي علمائنا المحدثين فيقـول الدكتور كمال بشر : " على فرض التسليم بصحة القول بأن العرب لم ينطقوا بالساكن في ابتداء الكلام ، إننا نشك أن يكون المنطوق في هـذه الـسياقات المعينة همزة . ولا يُغير من ظننا وصفها للوصل أو لغـيره "[3] . إذن فهـذا الصوت الذي يظهر في أول الكلمات مثل :" اضْرَب " ، و " اِستَخرِج " ، و" اسم " ، وغير ذلك من الكلمات ليس بهمزة عند د. كمال بشر ، وإنما هـو نوع من التحريك يُسهِّل عملية النطق بالساكن ، وهذا التحريك قـد يختـلط

---

(1) انظر مراح الأرواح في علم الصرف ص ١٢٠ .
(2) دراسات في علم اللغة ص ١٤٧ .
(3) دراسات في علم اللغة ص ١٥٠ .

على بعض الناس فيسمونه " همزة " ، وفَضّل د . كمال أن يُسمّي هذا الصوت " الصويت " مستدلاً على ذلك بدليلين :

الأول : أن طبيعة التكوين الصوتي للهمزة يتنافى مع الذي من أجله جيء بالهمزة ، وهو إمكانية التوصل إلى النطق بالساكن ، أو تسهيل هذه العملية؛ وذلك لأن الهمزة في حقيقتها حاجز ومانع ، وفي النطق بها صعوبة واضحة تناقض التسهيل المرجوّ من استخدامها .

الثاني : كينونة ألف الوصل همزة ، والهمزة صوت ساكن خالٍ من الحركة وهذا يتنافى مع القول بمجيئها لإمكانية النطق بالساكن .

وقد أثار القدماء هذه القضية فرأى بعضهم [1] أنها كانت ساكنة ، ثم لما دخلت على مبدوء بساكن التقى ساكنان ؛ فحُركت الهمزة بالكسر منعاً من التقاء الساكنين , وذهب جماعة من البصريين [2] أنه تم اجتلابها متحركة ؛ لأن العلة من اجتلابها هي التوصل بها إلى إمكانية ابتداء النطق بالساكن ؛ لذا وجب أن تكون متحركة كأي حرف يُبتدأ به ، ووافق ابن كمال باشا [3] هذا الرأي الذي يرفض الاتجاه السابق .

مما سبق يظهر لنا : " أنّ ثَمّة إحساساً من نوعٍ ما بين اللغويين العرب بأن ما سموه همزة وصل ليس إلا " نقلة " حركية تختلف في طبيعتها وصفاتها عن كل من الأصوات الصامتة consonants ، والحركات vowels يتمثل هذا الإحساس في جملة من تصريحاتهم ومناقشاتهم المتناثرة هنا وهناك في التراث اللغوي ، من ذلك مثلاً وصفهم للهمزة بأنها للوصول أو الوصل " [4] ومع كل هذا فقد تم حذف هذه الألف ـ ألف أو همزة ـ الوصل من صدر كلمة

---

(1) انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٢٧ ، وحاشية الصبان ٤ / ٢٠٩ ، وشرح مراح الأرواح لابن كمال باشا ص ٥٥ .
(2) انظر حاشية الصبان ٤ / ٢٠٩ .
(3) انظر شرح مراح الأرواح ص ٥٥ .
(4) دراسات في علم اللغة ص ١٥٧ .

" اسم " في " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَحيمِ "، وقد وقع هذا الحذف مع البـــاء دون غيرها من حروف الجر أحادية البنية ؛ وذلك لكثرة اســـتعمال البـــاء ـــ دون غيرها من الحروف ـــ مع كلمة " اسم " .

كما أن الحذف قد خَص الباء في البسملة دون غيرها من المواضع ؛ وذلك نظراً لكثرة استخدامهم للبسملة في كلامهم ، فما كثُر في الكـــلام عنـــدهم خففوه بالحذف[1] كما في قولهم : " لم أَبَل " في : " لم أُبالِ "، و" لم أُكُ " في : " لم أَكُن " ـــ بدليل عدم حذف ألف الوصل في قولك : لاسم الله حـــلاوة في القلوب ، أو قولك : ليس اسمٌ كاسم الله بالرُّغم من إضافة " اسم " إلى لفظ الجلالة وسبقه بحرف جر أحادي البنية مثل الباء ، وذلك أدْعى إلى القول بـــأن من دوافع حذف الألف في البسملة اقترانها بالباء ـــ وعُلل هذا الحذف أيـــضاً بأن ألف الوصل قد وقعت في موضع معروف[2] لا يجهل القـــارئ معنـــاه ، فاستُخِفَ على الألف طرحها ؛ لأن من شأنهم الإيجاز والتخفيف ، وقيل وقع حذف الألف هنا طلباً [3]للخفة تبعاً لحذفها في التلفظ ، إذ إنه لا يُلفظ بهـــا ؛ نظراً لكثرة الاستعمال وورودها على الألسنة فهو حذف من باب التخفيـــف والإيجاز ، كما أن " اسم " تكثُر مع لفظ الجلالة دون غيره ، فلمـــا عـــرف العرب ذلك استخف عليهم حذفها فأسقطوها ، ولم يفعلوا ذلك عند إضـــافة اسم إلى غير لفظ الجلالة ، وقيل حذفت لأنه لما كانت علة دخولهـــا إمكانيـــة ابتداء النطق بالساكن ؛ لتعذر ذلك بدونها ، نابت الباء منابها ؛ فسقطت الألف في الخط فرسموها " بِسْمِ " بدون ألف بخلاف " اقرأ باسم ربك " التي رُسمـــت

---

(١) انظر أربع مسائل في النحو ص ٢٥ : ٢٦ .
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢ ، وروح المعاني ١ / ٣٩ : ٤٠ ، وتفسير أبي السعود ١ / ٨ ، وتفسير النسفي ١ / ٤ .
(٣) انظر مجمع التفاسير ١ / ١٨ ، و وتفسير السمعاني ١ / ٣٢، ٥٤ ، و التفسير الكبير ١ / ١٠٦ ، وشرح مجموعة الشافية ١ / ٣٨١ .

بالألف [1] ؛ لأن الباء فيها لا تنوب مناب الألف ؛ وذلك لتعذر حذف الباء مع بقاء المعنى في الكلام كما هو الحال في البسملة التي يبقى فيها المعنى مع حذف الباء ، فلا يُقال : " اقرأ اسم ربك " ؛ نظراً لاختلاف المعنى عن " اقرأ باسم ربك "،كما علل بعضهم عدم حذف الألف في " اقرأ باسم ربك " ؛ لأن إسقاط الألف أو حذفها لابد له من أمرين : عدم ذكر المتعلق ، وإضافة " اسم " إلى لفظ الجلالة ، وكلا الأمرين منتفٍ في آية " اقرأ "؛ لهذا لم تسقط الألف فيها .

ومنهم من ذهب إلى أنهم أثبتوها هنا ، وحذفوها في البسملة ؛ لأنهم [2] اتَّبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط ؛ لكثرة الاستعمال ، كما قيل : طُولت [3] الباء عوضاً عن الألف المحذوفة ، والأصل فيها " باسم الله " فلما أسقطوا الألف ردُّوا طولها على الباء ، وقد أجمل النحاس [4] كل هذه العلل السابقة فذهب إلى أن في حذف ألف الوصول من " اسم " في الخط أربعة أقوال :

الأول والثاني : الحذف لكثرة الاستعمال ، وهو مذهب الفراء [5]، وإليه ذهب أبو حيان [6] .

الثالث : حُذفت الألف لأنها ليست من اللفظ ، وهو مذهب الأخفش سعيد بن مسعدة .

الرابع : أن الأصل في " اسم " هو : " سِمٌ " ، أو " سُمٌ " بكسر السين أو ضمها ، ثم جيء بالباء فصار : " بِسِم " بكسر الباء ، وكسر أو ضم السين

---

(1) سورة العلق الآية (١) .
(2) انظر الكشاف ١ / ٥ ، والفريد ١ / ١٥٤ .
(3) انظر مجمع التفاسير ١ / ١٩، وتفسير النسفي ١ / ٤ .
(4) انظر إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٦٧ .
(5) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢ .
(6) انظرتفسير البحر المحيط ١ / ١٦ .

ثم حذفت حركة السين وسُكنت فصارت " بِسْم "، ويمكن تمثيل ذلك تحليلياً كالآتي :

سِم ، أو سُم ← زيادة الباء في أول اللفظ ← (بِسِم ــ بِسُمِ)

(بنية عميقة)

(بِسِمِ ــ بِسُمٍ) ← حذف حركة السين وتسكينها ← (بِسْم)

(بنية سطحية)

وحقيقةً فإن مسألة الحذف هذه أيضاً من المسائل التي اختلفت حولها الآراء ، وتباينت تجاهها العلل ، إذ إنه من المعروف ــ كما ذكرت ــ أن همزة الوصل يُؤتى بها في أول الكلمة ؛ لإمكانية النطق بالساكن الموجود في أولها ، وهذا على أرجح الأقوال ، وبالرغم من إجماعهم على أن ألف الوصل ــ بشكل عام ــ مزيدة في أول الكلمة ، وأنها تأتي لإمكانية الابتداء بالساكن ، إلا أنهم اختلفوا حول علة وجودها في صدر كلمة " اسم" على وجه التحديد ، فذهب البصريون إلى أنها جاءت عوضاً عن لام الكلمة المحذوفة ، فهي عندهم ليست زائدة وإنما جيء بها في صدر كلمة " اسم " ؛ للتعويض عن عجزه المحذوف ، ودليل ذلك عندهم أنه لا يُجمع بينها وبين المعوض عنه ــ أي : بين ألف الوصل وبين لام الكلمة المحذوفة ــ التي هي الواو ــ في حال النسب فلا يقال : اسموي ، إذن فاختصاص ألف الوصل بكلمة " اسم " عند البصريين صار عوضاً من الحذف الذي لحق عجزها ، حيث كانت " سَمَوَ " ثم صارت " اِسْم " ، إلا أن ما رواه السمعاني [1] عنهم لا يتفق مع هذا القول ، حيث ذكر أن " اسم " من الأسماء التي بُنيت أوائلها على السكون عند البصريين ، فزادوا الهمزة في أولها ؛ لبشاعة الابتداء بالساكن غير المدّات عندهم .

---

(١) انظر تفسير السمعاني ١ / ٥٢ .

كما أن الكوفيين [1] جعلوا ألف الوصل في " اسم " أيضاً للعوض عما حذف من صدر الكلمة ،حيث حُذفت فاء الكلمة وعُوِّض عنها بألف الوصل ، فكانت " وَسْم " ثم صارت " اِسْم "، ورُدَّ علي الكوفيين قولُهم بأن ألف الوصل لم تُعهد داخلة على ما حُذف صدره ، كما أن زيادة الإعلال ـ كما ذهب البصريون ـ أقيس من عدم النظير،كما أن جعلها عوضاً يجعلها مقصودة لذاتها ، وهذا يتنافى مع كونها وصلاً ؛ لهذا قيل لا حذف ولا تعويض ، وإنما هو قلب للواو إلى همزة كما في : " إشاح ، وإعاء " من : " وشاح ، ووعاء " ؛ ثم مع كثرة الاستعمال جُعلت الهمزة وصلاً ، وقد تُقطع للضرورة فنقول : " إسم " . وقيل أيضاً : إنه لو كان اجتلاب ألف الوصل في " اسم " للعوض عن المحذوف ؛ لجيء بها أيضا في " دم ، ويد ، وغد " ؛ عوضاً عما حذف من هذه الأسماء ، فلما لم يكن ذلك ؛ دل على انتفاء كونها للعوض في " اسم " ، بل هي لإمكانية النطق بالساكن ، وقيل : إنما اجتلابها هنا لضربٍ من التخفيف وهو عود الاسم إلى الثلاثي ؛ لأن الأسماء التي تبقى على حرفين بعد الحذف يكون فيها ثقل نحو : دمٍ ، ويدٍ ، وغدٍ . وهذا القول لا يتفق مع ما توصل إليه علماؤنا المحدثون من أنّ الأصل [2] في هذه الأسماء جميعاً : " اسم ، ودم ، ويد ، وغد " أنها ثنائية البنية .

ب - *الحذف في لفظ الجلالة " الله " في البسملة* : من خلال ما تم توضيحه سابقاً في أصل اشتقاق لفظ الجلالة فإنه يمكن استنتاج ما وقع فيه من حذف ، وذلك بالنظر إلى كلٍّ من : البنية السطحية التي عليها الاسم وهي : " الله " ، والبنية العميقة التي هي أصل الاشتقاق وهي : " إلاه " .

من خلال ذلك يتبين لنا أنَّ هذه البنية قد تعرضت لحذفين :

---

(١) انظر الإنصاف ١ / ٨٠٦ ، وتفسير السمعاني ١ / ٥٢ .
(٢) انظر في قواعد الساميات د. رمضان عبد التواب ص ١١٦ .

الأول : حذف من النوع العام الذي بُنِيَ عليه لفظ الجلالة " الله " ـ بشكل عام ـ في أي موضع من الكلام ، حيث حذفت الهمزة [1] التي هي فاء الكلمة ، وعُوِّض عنها بـ " أل " التعريف ؛ فتحولت البنية العميقة للكلمة من " إله " إلى بنية أخرى عميقة أيضا هي : " اللاه "، فالتقت اللام التي هي عين الكلمة مع لام التعريف الموجودة في أول اللفظ،والأولى منهما ساكنة والثانية متحركة ـ فتم شرط الإدغام ـ فأُدغمت اللامان ، فصارتا لاماً واحدة ، ورسمت في اللفظ لاماً مشددة ، ثم فُخمت في لفظ الجلالة للتعظيم ، وقال أبو حيان : " حُذفت الهمزة اعتباطاً فقالوا " لاه " كما قال بعضهم في " ناس " أن أصله " أناس " ، ودخلت عليه " أل " ؛ فقيل " اللاه " ، أو كان أصله " إلاه " فنُقلت حركة الهمزة إلى اللام بعد حذفها ؛ فأُدغمت اللام في اللام ، ولزم النقل والإدغام فقيل " الله " ، وصار لا ينطلق إلا على المعبود بحق ، وعلى هذا يكون فِعال بمعنى مفعول ، كالكتاب بمعنى المكتوب " وأل " هذه لازمة ، وشذ حذفها مع حذف حرف الجر في قولهم : لاهٍ أبوك . يريدون لله أبوك " [2]، وعلق أبو حيان ـ في تفسيره المسمى " النهر الماد " على البحر المحيط ـ على ذلك فذكر أن منهم من ذهب إلى أن الألف زائدة ، ومادته من همزة ولام من " أله " أي : فزع ، قاله ابن اسحق ، أو : تَحيَّر ، قاله أبو عمرو ، أو عبَدَ كما قال النضر ، أو أله : بمعنى سَكَنَ كما ذهب المبرد ، وعلى هذا التأويل تكون الهمزة قد حُذفت اعتباطاً كما قيل : في ناس أصله " أناس " ، أو حُذفت للنقل ولَزِمَ مع الإدغام ، وكلا القولين شاذ . وقال القرطبي : " وقال الكسائي والفراء : معنى " بسم الله " : بسم الإله ؛ فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارتا لاماً مشددة " [3]، وقيل أيضاً : " و " الله " أصله إله فحذفت

---

(١) انظر عمدة التفسير ١ / ٧١ ، والخصائص لابن جني ٢ / ١٥٠ ، ومعجم متن اللغة ١ / ١٩٩ .
(٢) البحر المحيط ١ / ١٥ .
(٣) تفسير القرطبي ١ / ١٣٩ .

الهمزة وعوض عنها الألف واللام ؛ ولذلك قيل " يألله " بالقطع " [1] ، إذن فهناك إجماع على حذف الهمزة من لفظ الجلالة " الله " ، والتعويض عنها باللام .

الحذف الثاني : وهو أيضاً حذف من النوع العام الذي تنبني عليه الكلمة ، أي أنه ليس ناتجاً عن اختلاف القراءات ، وهو مما يؤثر في الرسم الكتابي ، ولا يتأثر به الأداء الصوتي ؛ لأن المحذوف ملفوظ به في الكلمة ، لكنه منقوص في الرسم فقط ، حيث وقع حذف الألف هنا ـ خطاً لا لفظاً ـ من وسط لفظ الجلالة " الله " ؛ إذ الأصل فيه " اللاه " ،ثم تحوَّل اللفظ إلى " الله "، وقد اختلفوا حول علة [2]هذا الحذف ، ولهم في ذلك عدة أقوال : منها أن الألف حذفت لكثرة الاستعمال ؛ لأنها للوصل وليست بأصلية ، وقيل : لأن اللفظ كُتب على لغة من يقول : " للهْ " بإسكان الهاء مع القصر ، إلا أن المنتجب[3] علل الحذف بأنه للفرق بين لفظتي " اللاه " ـ التي هي أصل " الله " ـ ، وبين " اللات " ؛ لأن من العرب مَن يقف على " اللات " بالهاء فيقول : " اللاه " [4] قياساً على نظائرها ؛ لكونها تاء تأنيث ، والوقوف عليها يكون بالهاء وفي ظني أن المنتجب يريد ـ وإن لم يصرِّح بذلك ـ أن من العرب من كان يرسم " اللات " بالهاء حال الوقف فيرسمها " اللاه " ؛ فيقع بذلك لبسٌ في الرسم بين اللفظتين ، ولهذا حذفوا الألف من " الله " ـ رسماً لا لفظاً ـ ؛ ليفرقوا بين اللفظتين ، بدليل قول الثعالبي : " والمكتوبة التي لفظها " الله " أبهر أسمائه ..... وحُذفت الألف الأخيرة من " الله " لئلا يُشكل بخط اللات ، وقيل طُرحت تخفيفاً " [5] ، وقال أبو حيان : " وحُذفت الألف الأخيرة من " الله " ؛ لئلا

---

(1) مجمع التفاسير ١ / ٢٢ .
(2) انظر تفسير الثعالبي " جواهر الحسان في تفسير القرآن " ١ / ٢١ ، وتفسير السمرقندي ١ / ٧٥ .
(3) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٥٧ .
(4) اللاه : لغة في " اللات " أي : الصنم . انظر معجم متن اللغة ، مج ٥ / ٢٣٢ .
(5) تفسير الثعالبي ١ / ٢١ .

يشكل بخط "اللاهِ " اسم الفاعل من لها يلهو ، وقيل : طُرحت تخفيفاً ، وقيل : هي لغة فاستُعمِلت في الخط " [1] ، وذهب بعضهم إلى أن لفظ الجلالة " الله " أصله: " لاها " بالسريانية [2]، فعُرّب بحذف الألف الأخيرة ، وإدخال اللام عليه مع تفخيم لامه عند فتحٍ ، أو ضم ما قبلها ، وقيل بتفخيم اللام مطلقاً وعلل الرازي لحذف الألف فقال :" أنما حذفوا الألف قبل الهاء من قولنا " الله " في الخط ؛ لكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة بالصورة عند الكتابة ، وهو مثل كراهتهم اجتماع الحروف المتماثلة في اللفظ عند القراءة " [3]، كما زاد الرازي على ذلك حيث ذَكَر أنّ لفظ " الله " صار أربعة أحرف في الخط بعد أن كان على ستة أحرف ؛ لأن الأصل فيه " الإله " فأبدلوه بقولهم " الله "، وذهب ابن الحاجب [4] إلي أن " الله " قد يجيء " الآله " في السعة ، فلما خُففت الهمزة نقلت حركتها إلى ما قبلها ـ كما القياس ـ وحذفت الهمزة فصار" الله "، ثم أسكنوا اللام الأولى وأدغموها في اللام الثانية ؛ وصارت الألف واللام في لفظ الجلالة كالعوض من الهمزة ؛ لقلة اجتماعهما . ويمكن تمثيل ذلك كالآتي :

(إلاه) ← حذفت الهمزة من أول اللفظ وعُوّض عنها بلام التعريف ← (اللاه)

(بنية عميقة)

(اللاه) ← أدغمت اللام في اللام وحُذفت الألف قبل الهاء رسماً ← (الله)

(بنية سطحية)

---

(1) البحر المحيط ١ / ١٥ .
(2) انظر مجمع التفاسير ١ / ٢٤ .
(3) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١ / ١٠٧ .
(4) انظر الكافية في النحو ١ / ١٤٥ .

الحذف في لفظ الجلالة في " الحمد لله " : وهو أيضاً حذف من النوع العام الذي يلحق بالكلمة في أو موضع دون الاختصاص بهذا الموضع ، وغير مرتبط بأوجه القراءات ، حيث وقع حذفان في لفظ الجلالة : " لله " :

الأول : حذف ألف الوصل لفظاً وخطاً من أول الكلمة ، حيث إنه من المعهود في ألف الوصل أن تُحذف لفظاً في وصل الكلام ، أي : لا يكون لها أثر صوتي مسموع فلا يُتَلفظ بها ، ولكن تم حذفها هنا في الخط أيضاً ، لدخول لام الجر على لفظ الجلالة ، فهو إذن حذف مؤثر في الصوت وفي الرمز الكتابي " حذف صوتي كتابي " .

الثاني : حذف اللام من لفظ الجلالة لفظاً وخطاً أيضاً ، وقد اختلف العلماء حول تحديد اللام المحذوفة ، فمنهم من ذهب إلى أن اللام المحذوفة هي : " لام الجر " التي دخلت على لفظ الجلالة ؛ لأنها زائدة ، والزائد أولى بالحذف من الأصلي ، ويردَّه قول الزجاج[1] بأن حرف الجر لا يُضمر ولا يُحذف .وذهب آخرون إلى أن المحذوف هو " لام لفظ الجلالة " أي : " لام الكلمة " ، وبقيت لام الجر .

وعندي أن الراجح هو الرأي الأول ؛ لأن لام الجر دخلت في الكلام لمعنى ، وليست زائدة لغواً ، وما دخل لمعنى لا يستغنى عنه ولا يُحذف ، إذ إنَّ في حذفه إلغاءً للهدف الذي من أجله جاء ، وهو المعنى الجديد الذي أُضيف بوجوده ، وإلا لا حاجة لدخوله في الكلام أصلاً ؛ لهذا تعين عندي أن يكون المحذوف لام الكلمة ليس لام الجر ، كما أنّ حذف لام الكلمة لا يُغيّر من معناها شيئاً [2]، وثمة دليلٌ آخر هو أنّ لام الكلمة ــ التي هي لام التعريف في

---

(١) انظر أربع مسائل في النحو ، رسالة " الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم " ص ٤٥ .

(٢) من الخصائص العظيمة في لفظ الجلالة أنك لو حذفت منه شيئا ظل الباقي يدل عليه ، فإن حذفت الألف بقي منه " لله " ، وإن حذفت إحدى اللامين وأبقيت الألف صار " إله "، وإن حذفت الألف واللام معاً بقي " له " ، فإن حذفت الألف واللامين معاً بقي منه " هو " والواو عوض عن الضمة ؛ لهذا قيل : إن لفظ " الله " هو الاسم الأعظم . انظر مجمع التفاسير ١ / ١٩ : ٢٠ .

الأصل المُعَوَّض بها عن الهمزة المحذوفة من إله ـ لام ساكنة ، ولام الجـر لام مكسورة ، وحذف الساكن من أول اللفظ أولى من حذف المتحرك ، كما أن وجود اللام محرَّكة بالكسر في أول اللفظ " لله" دلَّ على أنها لام الجـر ، إذ لا داعي للقول بأنها كانت لام الكلمة الساكنة ثُم حرِّكت بالكسر ، فالبعد عـن التأويل ، والقول بما هو ظاهر أولى ، هذا بالإضافة إلى ما ذكره الزجاج من أنَّ حرف الجر لا يُضمر ، ولا يُحذف . والله تعالى أعلى أعلم .

ويمكن تمثيل ذلك كالآتي :

(الله) ← دخول لام الجر علي اللفظ ← (لِ+ الله)

(بنية عميقة)

(ل + الله) ← حذف ألف الوصل ومعها إحدى اللامين ← (لله)

(بنية سطحية)

الحذف في " الرحمن " : هذا الاسم ـ كما ذكرتُ خلال الحديث عن اشتقاقه ـ من الأسماء التي اختص بها الله تعالى ؛ ومن أجل هذا ـ أو ربما لمنعه من الصرف ـ صار من الأسماء التي لا تُثنى ولا تجمع ، وقد وقع فيه الحذف خطاً لا لفظاً ، فرُسِمَ " الرحمن " بدون ألف ، والأصل فيها " الرحمان " ، حيث سقطت الألف من وسطه ؛ فقيل لكثرة الاستعمال [1]، ولأن اللبس مأمون ، وقيل : إنما وقع الحذف هنا ؛ لدخول[2] الألف واللام على اللفظ ،فهو حذفٌ واجب ما دامت الكلمة معرَّفة بـ " أل " ، غير أنّ بعضَهم [3]ذهب إلى أنه لا يجوز حذف الألف في " الرحمن " كما لم يجُز حذفها في لفظ الجلالة " الله " ، وذهب الفخر الرازي [4] إلى أنهم حذفوا الألف في الخط ، والأصل " الرحمان "

---

(١) انظر البحر المحيط ١ / ١٥ : ١٧ ، وأربع مسائل في النحو ص ٥٠ .
(٢) انظر إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٥ ، ومعجم متن اللغة ٢ / ٥٦٥ .
(٣) انظر زاد المسير ١ / ٥ ، ونسب هذا الرأي للخليل .
(٤) انظر التفسير الكبير ١./ ١٠٧ .

على سبيل التخفيف ، ولو كُتبت بالألف لكان حسناً ، إذن فالحذف هنا ذو أثر كتابي فقط غير مصحوب بأثر صوتي ، حيث إنّ الألف المحذوفة خطاً ثابتة في اللفظ ، ولهذا تُرسم في الخط العثماني المصحفي ألفاً صغيرة فوق الميم للدلالة على بقائها لفظاً. ويمكن توضيح ذلك كالآتي :

الرحمان ← حذف الألف من وسط الكلمة خطاً لا لفظاً ← الرحمن

(بنية عميقة) (بنية سطحية)

الحذف في اسم الموصول " الّذين " : قرأ أعرابيٌ " الَذين " بتخفيف اللام قال العكبري : " يُقرأ بلام واحدة مخففة مفتوحة ، وإذا ابتدأت به أثبت قبل اللام همزة مفتوحة تسقط في الوصل ، والوجه في ذلك أنه حذف اللام الأولى ، كراهية التشديد ، وحَسَّنَ ذلك عنده أنّ الألف واللام لا يفيدُ في هذا الاسم تعريفاً ؛ لأنّ تعرُّف الذي بصلته ، والألف واللام زائدتان ؛ فحَسُنَ حذفها لزيادتها ، وأبقى الهمزة تنبيهاً على أنّ الأكثر في الاستعمال ثبوت اللام ، وأن حذفها عارض " [1] ، وذكر أبو حيّان [2] أنه سُمع حذف " أل " كاملةً من الموصول فقالوا : " لَذين " .

وقيل[3] : حُذفت اللام من الموصول " الّذين " هنا ؛ لأنه مبنيٌ لأجل نقصانه فهو لا يفيد إلا مع صلته ، إذن فهو كبعض الكلمة ، وبعض الكلمة يكون مبنياً ؛ لهذا السبب أدخلوا فيه النقص فحذفوا اللام ، ودليل ذلك أنهم لم يحذفوها في المثنى فقالوا " اللّذان ، واللّذَين " ؛ لأن التثنية أخرجت المثنى عن مشابهة الحروف ، إذ إن الحرف لا يُثنّى ؛ لذا فالمثنى ليس مبنياً ؛ فلم تُحذف منه اللام ، وقد أثر هذا الحذف في بنية الكلمة المنطوقة أي : أثر في الأداء

---

(١) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٩ ، " قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابياً يقول : الله الذي يُخفف " هامش (٣) من نفس الصفحة ، وانظر البيان ١ / ٣٩ .

(٢) انظر البحر المحيط ١ / ٢٦ .

(٣) انظر التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " ١ / ١٠٦ .

الصوتي للكلمة ، حيث تحول المقطع الصوتي الأول في الكلمة من مقطع طويل مغلق بصامت (ص ح ص) إلى مقطع قصير (ص ح) ،كما أثر في الرسم الإملائي للكلمة ، وفي ظني أنَّ هذا الحذف قد أدى إلى صعوبة في النطق .

ويمكن تمثيل ذلك كالآتي :

(اَلْ / لَ / ذيـ / نَ) ← حذف اللام الأولى ← اَ / لَ / ذيـ / نَ

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح / ص ح ← ص ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح

(بنية عميقة) (بنية سطحية)

الحذف في " أَيَاك " : وهو حذف من النوع الخاص ، إذ إنه موقوف على قراءة معينة من القراءات الشاذة ، فقد قرأ عمرو بن فايد [1] " إياك " بكسر الهمزة وتخفيف الياء ، وفي ذلك إعلال بحذف إحدى الياءين ، ما أدى إلى بقاء اللفظ على ياء واحدة ، قال العكبري : " والوجه أنه حذف إحدى الياءين لثقل التضعيف في الياء .....، فكأنّ مَن خفف أراد ذاتك نعبد ، أو حقيقتُك ، وفي هذا نظر " [2]، وذهب القرطبي[3] إلى أنّ قراءة التخفيف في الياء هنا قراءةٌ مرغوب عنها ، على أنّ هذا الحذف له نظير في كلامهم ، فقد جاء عنهم في حذف المضاعف حروف كثيرة منها : التخفيف في " أيّ " [4]. جاء ذلك في قول الفرزدق :

تنظرت نصراً والسماكين أيْهُما عليّ مع الغيثِ استهلت مواطره .

الشاهد في البيت قوله : " أيْهُما " وهو يريد " أيُّهما "، كما قالوا في " أمَّا " : " أيْما " فراراً من التضعيف أيضاً ، وكذلك قالوا في " ظَلِلْتُ " : ظِلْتُ ،

---

(١) انظر إعراب القرآن ١ / ١٧٣ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣ ، والنشر ١ / ١٠٨ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٤٩ , وتفسير البحر المحيط ١ / ٢٣ ، وإعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٣ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٥ ، وفتح القدير للشوكاني ١ / ٢٢ .

(٢) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٣ : ٩٤ .

(٣) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٤٦ .

(٤) انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٣ .

وظَلْتُ " ، وقد قرئ بهما في المشهور . والمحذوف من " إيَّاك " هنا هو اليـاء الساكنة لا المتحركة على عكس ما جاء في " أيُّ " في قول الفرزدق ، وعلـى عكس ما جاء عندهم في " ظَلْتُ " ؛ لأن ما بعد المحذوف في كل من : " أيُّهما وظَلْتُ " حرف صحيح متحرك فلا يضيره أنْ يُسبَق بالحرف الساكن الـذي بقي من المضعَّف ، أما في " إيَّاك " فالضرر واقع إلا إذا كان المحـذوف هـو الحرف الساكن لا المتحرك ، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي :

إيـْ / يَـا / كَ ← تخفيف التضعيف بحذف الياء الساكنة إ / يـا / كَ

ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص ح / ص ح ح / ص ح

(بنية عميقة) (بنية سطحية)

من التحليل المقطعي الصوتي السابق نلاحظ أن البنية العميقة أو التحتية مكونة من ثلاثة مقاطع صوتية هي على الترتيب : (مقطع طويل مغلق بـصامت + مقطع طويل مفتوح + مقطع قصير) ، وما حدث هو أن المقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ص) في البنية العميقة المتمثل في " إيْـ " ؛ قـد تحـوَّل إلى مقطع قصير مفتوح (ص ح) في البنية السطحية للكلمة متمثل في " إ " .

الحذف في " الضالّين " : هذا حذف من النوع الخاص أي : المتعلـق بموضـع خاص دون سائر المواضع التي ترد فيها الكلمة ، أو بتعبير آخر هـو حـذف موقوف على إحدى القراءات دون غيرها إذ إن القـراءة المتـواترة هـي : " الضالّين " : بوزن " الفاعلين " ، باللام المشددة المسبوقة بحركة طويلة ، وهـو موضع من المواضع التي يُسمَح[1] فيها بالتقاء الساكنين كما يـرى القـدماء: ساكن المد ، وساكن اللام الأولى من المشددة وهو التقاء على حدِّه عنـدهم

---

(1) انظر شرح مجموعة الشافية ٢ / ١٠٨ : ١٠٩ ، ٣١٠ ، والإنصاف ٢ / ٢٦٦ ، وشذا العرف في فن الصرف ص ١٦١ ، والنحو الوافي ٤ / ١٨٠ هامش (٢) ، والقاعدة اللغوية والقراءات المخالفة ،ص ٩٦.

لتوافر الشروط ، و" التقاء الساكنين " كما فسّره المحدثون [1] هو : اجتماع ثلاثة أصوات صامتة متتالية الثالث منها فقط متلوّ بحركة ، أو : تواجد المقطع الصوتي المديد المغلق بصامت (ص ح ح ص) الذي يُمتنع تواجده في وسط الكلمة ، وبالرغم من شرعية قبول التضعيف في اللام هنا إلا أنه قرئ شذوذاً بتخفيف اللام ، قال العكبري :" ويُقرأ بتخفيف اللام وهو بعيد ووجهه على ضعف ، أنه خفف فراراً من ثقل التضعيف ، وهذا نظير حذف اللام في ظِلْتُ، وهو أصل أسماء الفاعلين ، فلما حُذفت في الفعل ؛ حُذفت في الاسم الجاري على الفعل " [2] وفي ذلك حذف لإحدى لاميّ الكلمة ، ووجهه أنه خفف فراراً من ثقل التضعيف ، وقيل هو بعيد ، قال ابن جني : " قد هربوا من التضعيف إلى الحذف نحو " ظلْت ومَسْت وأحسْت " [3]، وقد أدى التخفيف بالحذف هنا إلى التخلص من المقطع المديد المغلق ، وتحويله إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح)كما يتضح ذلك من خلال التحليل الصوتي الآتي مع طرح "أل " التعريف من اللفظ :

(ضالْ / ليـ / نَ) ← التخفيف بحذف إحدى اللامين (ضا / ليـ / نَ)

ص ح ح ص / ص ح ح / ص ح (بنية عميقة)

ص ح ح / ص ح ح / ص ح (بنية سطحية)

ت – ***الإعلال الصرفي*** : الإعلال هو في حقيقته إبدال ، ولكنه خاص بحروف العلة دون غيرها من الحروف ، فالإبدال عام والإعلال خاص ، وقد جاء في فاتحة الكتاب من الأسماء ما وقع فيه الإعلال في قوله تعالى :" نستعين "

---

(١) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٤٨، والتطور اللغوي ص ٩٦ ، وفي علم اللغة العام د. عبد الصبور شاهين ص ١٠٨ . .

(٢) إعراب القراءات الشواذ ١ / ١٠٤ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٩ .

حيث وقع فيها إعلالان : أحدهما بالنقل ، والآخر بالقلب إذ الأصل [1]فيها " نَسْتَعْوِنُ ".

أما الإعلال بالنقل : فقد استُثقلت الكسرة على الواو ؛ فنُقِلت إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها وهو : " العين " ؛ فسُكِّنت الواو بعد أنْ كانت مكسورة ، فتحولت الكلمة من " نَسْتَعْوِنَ " إلى " نَسْتَعِوْنُ ".

وأما الإعلال بالقلب : فبعد نقل حركة الواو ؛ صارت الواو ساكنة ، وما قبلها مكسور ؛ ذلك ما أدّى إلى قلبها ياءً ؛ لأن الواو إذا سُكنت وكُسِر ما قبلها قُلبت ياءً ، وهذا قول القدامى ؛ لأن هذا موضع من مواضع إبدال [2] الواو ياءً عندهم ، أمَّا في ضوء المنهج اللغوي الحديث [3]فقد فُسِّر ذلك بأنه : لما تتابعت الكسرة والضمة ـ المتمثلة في الرمز الكتابي الواو ـ وكانت اللغة العربية تكره تتابعهما ، فقد أسقطت العربية عنصر الضمة ، وعوّضت مكانه كسرة قصيرة تُصبح بالإضافة إلى سابقتها كسرة طويلة بعد العين ، وهي التي ظهرت في صورة الياء في البنية السطحية للكلمة ، لذا فإنه من الأولى في وجهة النظر الحديثة أن نقول : قُلبت الضمة كسرة ؛ للتخلص من الصعوبة ، ونزوعاً إلى الانسجام ؛ ونتيجة لذلك فقد تحولت الكلمة من " نَسْتَعِوْن " إلى " نَسْتَعِينُ " .

ويمكن تمثيل ذلك بطريقة المقاطع الصوتية كالآتي :

نَسْ / تَعْ / وِ / نُ ← إعلال بالنقل ← نَسْ / تَعْ / عِوْ / نُ

ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ← ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح

(بنية عميقة) (بنية شبه سطحية)

---

(1) انظر الدر المصون ١ / ٥٩ ، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٣١ ، وروح المعاني ١ / ٨٧ ، والبحر المحيط ١ / ٢٤ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٢٦٩ .

(2) انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص ١٨٧ .

(3) انظر المنهج الصوتي ص ١٨٩ .

لاحِظ في التحليل السابق التبادل الذي حدث بين المقاطع الصوتية ـ التي رُسِم تحتها خط ـ في كل من البنية العميقة ، والبنية شبه السطحية ، بعد حدوث إعلال النقل ، حيث انعكست مواقع المقاطع .

نَسْ / تَـ / عِـوْ / نُ ← إعلال بالقلب ← نَسْ / تَـ / عِيـ / نُ

ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح (بنية شبه سطحية)

ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح (بنية سطحية نهائية)

لاحظ أيضاً ما حدث هنا للمقاطع الصوتية في كلتا البنيتين ، حيث تحول المقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ص) إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح).

ويمكن تفسير ما حدث هنا في ضوء علم اللغة الحديث بأنه قد اُختُزل صوت من أصوات الكلمة ، حيث إن الواو في البنية العميقة كانت عبارة عن صوت صامت مصحوب بحركة الكسرة ، أو بتعبير آخر صامت مصوّت ، ثم تحولت ـ بعد إعلالي النقل والقلب ـ إلى رمز كتابي يعبر عن الحركة الطويلة التي تحرّكت بها العين ؛ لهذا تحولت حركة العين من حركة قصيرة ـ التي هي الكسرة ـ إلى حركة طويلة وهي التي أطلق عليها القدماء " الياء " ، إذنْ ما ظنه القدماء حرفاً أو صامتاً ـ الياء ـ نتج عن قلب الواو ما هو في الحقيقة إلا رمز كتابي يُعبر عن التطويلّ أو الإشباعّ الذي حدث في حركة العين ، ذلك ما أدّى إلى تحول المقطع الصوتي ـ قبل الأخير في الكلمة ـ من مقطع طويل مقفل أو مغلق (ص ح ص) متمثل في : (عِوْ) ، إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) متمثل في : (عي) . هذا والله تعالى أعلى وأعلم .

نتائج البحث

بعد هذا العرض المفصّل لمسائل البحث والذي أدعو الله تعالى أن يكون قد ظهر في غير تطويلٍ مملٍ ، ولا تقصيرٍ مخِلٍ ، يطيبُ للباحث أن يسطُرَ بعضاً مما اهتدى إليه من نتائجَ ، إذ لا شك أنّ ثمة عدداً من القضايا الصوتية ، والصرفية التي عرض لها الباحثَ في فاتحة الكتاب من خلال استعراضه للقراءات القرآنية المختلفة ، ولكن تجنُباً لتكرار ما تمّ تفصيله في ثنايا البحث فإني سأُعدد في إيجاز بعضاً مما توصل إليه البحثُ من نتائج :

أ- القضايا الصوتية :

ثمّة بعض من القضايا ، أو الظواهر الصوتية كان لها أثرٌ في البنية الصوتية ، أو في الرسم الإملائي للكلمة ، أو في الدلالة ، فمنها ما يؤثر في البنية الصوتية والرسم الإملائي معاً مثل : إدغام المثلين كما في لفظ الجلالة " الله "، و" ربّ "، و" إيّاك "، و " الضالّين " .

أمّا تأثيره الصوتي فقد أدى الإدغام إلى النطق بالصوتين المدغَمين دَفعة واحدة ؛ ذلك ما أدى إلى الإشعار بضخامة وتفخيم الصوت المدغَم حال النطق به .

وأمّا تأثيرُ الإدغام في الرسم الإملائي فقد أدّى إلى اختزال الحرفين المتماثلين في صورة حرفٍ واحد مشدد ـ أو مضعّف ـ وفي ذلك تحسين وتجميل لصورة الكلمة المرسومة .

ومنها ما يؤثر في البنية الصوتية دون الرسم الإملائي كالإدغام الشمسي ، منه على سبيل المثال ما جاء في كلمتي : " الرَّحمن " ، و" الرَّحيم " ، حيث أُدغمت اللام في الراء ؛ فأثّر ذلك على البنية الصوتية حيث اختفى صوت اللام

لأنه أُدخل في الراء حال النطق بالكلمة بالرغم من ثبوته في الرسم الإملائي ؛ فدلّ ذلك على عدم تأثير الإدغام في الرسم الإملائي .

ومنها ما لم يؤثر لا في البنية الصوتية ، ولا في الرسم الإملائي كما هو الحال في : " الإبدال الصوتي بين الصوامت " ، كإبدال الألف همزة ساكنة كقراءة بعضهم " العَأْلَمين " في " العالمين "، فليس لهذا الإبدال أي أثر سوى أنه لغة عندهم ،أو إبدال الألف همزة متحركة كما في " الضأّلين " بدلاً من " الضالّين " وذلك للتخفيف فراراً من التضعيف ، وكثُر ذلك في كلامهم ، ومن ذلك أيضاً إبدالهم الهمزة هاءً أو واواً مكسورة في " إيّاك " فيقولون : " هيّاك ، ووِيّاك " .

وكذلك الحال في " الإبدال الصوتي بين الصوائت " لم يؤثر في شيء كما هو الحال في كسر حرف المضارعة وهي لغة بهراء ، وأطلق عليها العلماء " تلتلة بهراء " فهم يكسرون حرف المضارعة المفتوح في أول الفعل المضارع ، كما في " نِسْتعينُ " و " نِعبدُ " بدلاً من " نَستعينُ " و " نَعبدُ " ، وذلك في كل حروف المضارعة ما عدا الياء ؛ لثقل الكسرة على الياء .

غير أن من هذه الظواهر ما يؤدي إلى تَغُّير في الدلالة كما هو الحال في تقصير الحركة الطويلة على نحو ما جاء في قراءة " مَلِك " بتقصير فتحة الميم التي يُرمز لها بالرمز الكتابي " الألف " في " مالِك " ، هذا التقصير في الحركة كان له مردود دلاليّ ، إذ إنّ بين اللفظتين فروقاً دلالية فصّلها البحث ، يمكن الرجوع إليها .

ب – القضايا الصرفية :

١ – وردَ بالبحث بعضٌ من القضايا الصرفية التي أثارت جدلاً بين العلماء كقضية الاشتقاق ، إذ إنهم اختلفوا حول اشتقاق " اسم "فهم على ثلاثة

مذاهب: مذهبين للقدماء ، وثالثٍ للمحدثين (أي : علماء اللغة في العصر الحديث) .

أما مذهبا القدماء فأحدهما يمثله البصريون الذين يرون اشتقاق" اسم " من " سمو " فالأصل فيه أن يكون على ثلاثة أحرف ، وهذا ما ارتآه الكوفيّون أصحاب المذهب الثاني ، لكنهم يرون أنه مشتق من " وسم " .

أما علماؤنا المحدثون الذين يمثلون المنهج اللغوي الحديث فقد كان لهم رأيٌ آخر ، إذ يرى د .رمضان عبد التواب أن " اسم " من الكلمات ثنائية البنية ، فليس لها أصل ثلاثي كما يزعمون . كما اختلفوا أيضاً حول لألف الوصل في أول كلمة " اسم " : فالبصريون يرون أمها عِوَضٌ عن عجزه المحذوف ، والكوفيون يرون أنها عوضٌ عما حُذِف من صدره . أما المحدثون فهي عندهم زائدة في أول اللفظ .

ومما اختلف القدماء حول اشتقاقه أيضاً لفظ الجلالة " الله " ، فمنهم من رأى أنه لا اشتقاق له ، قيل : لأنه اسم جامد ، وقيل : لأنه أَجَلّ من أنْ يُشتقُ ، وقيل :إنه عَلَمٌ غيرُ مشتق ، وقيل : إنه مُعرَّبٌ من السريانية فهو ليس بعربيّ ، كما ذهب آخرون إلى القول بأنه مشتق لكنهم اختلفوا في أصل الاشتقاق ، فقيل : مشتق من " لاه ــ يليه " ، أو " لاه ــ يلوه " ،وقيل مشتق من " إله " ، والمسألة بالتفصيل في ثنايا البحث .

٢ – ثمة بعض من الظواهر الصرفية كان ذا أثر على الكلمات التي وقع فيها كالحذف الصرفي مثلاً الذي أدى إلى إحداث تغيير في المقاطع الصوتية المكونة منها الكلمة ،كما هو الحال في " إيّاك " و " الّذين " عند من قرأ بتخفيف الياء في الأولى ، وتخفيف الذال في الثانية على الترتيب ؛ فراراً من التضعيف ؛ ذلك ما أدى إلى تحويل المقطع الصوتي في أول الكلمة من مقطع طويل مغلق بصامت (ص ح ص) إلى مقطع قصير مفتوح (ص ح) .

وكذلك في " الضالين " عند من قرأ بتخفيف اللام ؛ فراراً من التضعيف أيضاً ؛ ذلك ما أدى إلى التخلص من المقطع المديد المغلق (ص ح ح ص) في أول الكلمة ، وتحويله إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) .

ومن الظواهر الصرفية التي أثرت في بنية الكلمة أيضاً ما حدث في قوله تعالى " نَسْتَعينُ " من إعلال بالنقل ، وبالقلب على الترتيب ، حيث كان الأصل فيها " نستعون " تعرضت هذه البنية العميقة للكلمة لإعلالين أدَّيا إلى حدوث تبديل في المواضع بين مقاطع الكلمة ، حيث إن المقاطع في البنية العميقة على الترتيب هي : (ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح) بُدلت في البنية السطحية وتحولت إلى (ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح) .

وقد اختلف القدماء والمحدثون حول تفسير ما حدث هنا ، فرأى القدماء أنّ في ذلك قلباً للواو إلى ياء ، ورأى المحدثون أنّ ما فسرّه القدماء على أنه قلب لأحد حروف الكلمة ما هو في الحقيقة إلا اختزالٌ لصوت من أصوات الكلمة كان مصحوباً بحركة ـ وهو صوت الواو المحرَّك بكسرة ـ في " نستعْوِنُ " وتحويله إلى رمز كتابي يُعبر عن التطويل الذي حدث لحركة الصوت السابق له ، فالواو التي كانت صوتاً مُصوَّتاً في البنية العميقة للكلمة تحولت إلى رمز كتابي ظهر في صورة " الياء " في البنية السطحية التي هي : " نَستعينُ ".

هذا بعضٌ من كلٍّ جاء مفصلاً في ثنايا البحث ، أرجو من الله تعالى أن أكون قد وُفّقتُ في عرضه ، وأخيراً أدعوه جلَّ شأنه أنْ يَنْفَعَنا بما علّمَنا ، وأنْ يُعلمَنا ما ينفَعُنا ، إنه القادر على ذلك ، وهو السميع العليم .

مصادر ومراجع البحث

١- إبراهيم أنيس " دكتور " :

- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٩٤ م .
- اللهجات العربية . مطبعة الرسالة . بدون تاريخ .

٢- ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٣- ابن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ) : شرح شذور الذهب ،الشيخ محمد محي الدين ، بيروت ،طبعة ١٩٨٦ م .

٤- أبو البركات بن الأنباري : البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب _ القاهرة ، طبعة ١٤٠٠هـ _ ١٩٨٠ م .

٥- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧٠١هـ التفسير المسمى بـ " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " ، دار الفكر .

٦- أبو البقاء العكبري (ت٥٣٨ _ ٦١٦هـ) :

- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق ودراسة دكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين . مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م .
- إعراب القراءات الشواذ ، دراسة وتحقيق محمد السيد أحمد عزوز ، عالم الكتب ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى١٤١٧هـ _ ١٩٩٦ م .

٧- المسائل الخلافية في النحو . حققه وقدم له محمد خير الحلواني ، دار الشروق العربي ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢ م .

٨- أبو السعود : التفسير المسمى " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ أو رقم طباعة

٩- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ : المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب — بيروت ، بدون تاريخ أو رقم طباعة .

١٠-أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ت ٣٩٢ هـ :

- المنصف شرح التصريف للإمام أبي عثمان المازني ، تحقيق دكتور إبراهيم مصطفى ، والأستاذ عبد الله أمين دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ _ ١٩٥٤م .
- سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي _ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٤ م .
- الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، بدون تاريخ .

١١-أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي : تفسير القرآن ، عالم الكتب ، بدون تاريخ .

١٢-أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ: زاد المسير في علم التفسير حققه محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، وخرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م .

١٣-أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧ هـ: زاد المسير في علم التفسير ، حققه محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، خرّج

أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

١٤-أبو القاسم السُّهيليّ ت ٥٠٨ ـ ٥٨١هـ : " نتائج الفكر في النحو " تحقيق دكتور محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض للنشر والتوزيع .

١٥-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٤٦٧ ٥٣٨هـ ـ) :

- شرح الفصيح ، تحقيق ودراسة دكتور إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي ، طبعة ١٤١٧هـ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ويليه الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان .

١٦-أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) : تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والدكتور زكريا عبد الحميد النوتي . دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

١٧- أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار ت ٤٢٦ : ٤٨٩هـ: تفسير القرآن، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن للنشر-الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -٩٩٧م

١٨- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر " سيبويه " (ت ١٨٠هـ) الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة الأولى . بدون تاريخ .

١٩- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٢٠- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ إعراب القرآن، تحقيق دكتور زهير غازي زاهد ، عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥ م .

٢١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ : جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة (بيروت _ لبنان) الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ _ ١٩٧٨م

٢٢-أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٦٥٤ _ ٧٥٤هـ) : التفسير الكبير المسمى بـ" البحر المحيط " وبهامشه : " تفسير النهر الماد من البحر " لأبي حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي (ت ٦٨٢ _ ٧٤٩هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ _ ١٩٧٨م .

٢٣-أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) : معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ _ ١٩٨٣م.

٢٤-أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، الطبعة الثانية . بدون تاريخ .

٢٥-أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت ٥١٦هـ) : التفسير المسمى " معالم التنزيل " ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمرى ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، دار الطيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ _ ١٩٩٥م .

٢٦-أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ ت ٣٥٥ _ ٤٣٧هـ : مشكل إعراب القرآن ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٤ م .

٢٧-أحمد بن علي بن مسعود : مراح الأرواح في علم الصرف ، بشرحَيه لـ " ديكنقوز ، وابن كمال باشا ، مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٩٣٧ م .

٢٨-أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦ هـ : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار العلم _ دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٩-أحمد الحملاوي : شذا العرف في فن الصرف ، حققه وكتب مقدماته وعلق عليه طه عبد الرءوف سعد ، مكتبة الصفا ، بدون تاريخ أو رقم طباعة .

٣٠-أحمد محمد شاكر" دكتور " : عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير ، اختصار وتحقيق ، سلسلة تراث الإسلام " ٣ " .

٣١-الألوسي البغدادي ت ١٢٧٠هـ : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان .

٣٢-الثعالبي : التفسير الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعليمي للمطبوعات ،بيروت — لبنان .

٣٣-الجاربردي : شرح مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط ، ومعه حاشية ابن جماعة الكناني على الشرح ، عالم الكتب _ بيروت ، (بدون تاريخ أو رقم طباعة) .

٣٤-جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي :
الكافية في النحو ، شرحه الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستربازي
ت ٦٨٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الثانية
١٣٣٩هـ _ ١٩٧٩م .
٣٥-حسن ظاظا " دكتور " : " اللسان والإنسان " مدخل إلى معرفة اللغة ،
دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية — بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ —
١٩٩٠م .
٣٦-حلمي خليل " دكتور " : " الكلمة " دراسة لغوية معجمية دار المعرفة
الجامعية ، طبعة ١٩٩٥ .
٣٧-الخضري : حاشية على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ضبط
وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر الطبعة الأولى
١٤١٩هـ _ ١٩٩٨ م .
٣٨-رمضان عبد التواب " دكتور " :
— في قواعد الساميات ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٠ .
— التطور اللغوي " مظاهره وعلله وقوانينه " ، مكتبة الخانجي
بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض . بدون تاريخ .
٣٩- صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، الطبعة التاسعة ، دار العلم
للملايين — بيروت ، ١٩٨١ م .
٤٠- عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف بمصر ط الرابعة .
٤١- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) :
— الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار الفكر . طبعة ١٤٠٣هـ —
١٩٨٣ م .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بالاشتراك مع آخرين ، القاهرة _ دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ طباعة .
- تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور . الضبط والتصحيح ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م .
- التحبير في علم التفسير، حققه وقدم له ووضع فهارسه دكتور فتحي عبد القادر فريد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢م

٤٢- عبد الصبور شاهين " دكتور " :
- المنهج الصوتي للبنية العربية " رؤية جديدة في الصرف العربي" ، مؤسسة الرسالة ، طبعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
- في علم اللغة العام ،مؤسسة الرسالة _ بيروت ،الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م.

٤٣- عبد الفتاح سليم " دكتور " : " أربع رسائل في النحو " تحقيق وتعليق ، منها رسالة " الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم " لأبي إسحاق الزجاج ، مكتبة الآداب - القاهرة .

٤٤- عبده الراجحي " دكتور " : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، طبعة ١٩٩٦م .

٤٥- عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) : فوائد في مشكل القرآن ، تحقيق دكتور سيد رضوان علي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ _ ١٩٦٧م ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢ م .

٤٦- علي بن سليمان الحيدرة اليمني : كشف المشكل في النحو ، تحقيق د . هارون عطية ، مطبعة الإرشاد _ بغداد ، طبعة ١٤٠٤ هـ _ ١٩٨٤ م .

٤٧- علي عبد الواحد وافي " دكتور " : فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة - القاهرة ، الطبعة السابعة ، بدون تاريخ .

٤٨- فخر الدين الرازي : التفسير الكبير الطبعة الثانية . دار الكتب العلمية _ طهران ، بدون تاريخ .

٤٩- قاضي خازن ، نسفي بن عباس : مجمع التفاسير ، دار الدعوة ، الطبعة الثانية .

٥٠- كمال الدين أبو البركات بن الأنباري ت ٥١٣ _ ٥٧٧ هـ :

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
- البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .

٥١- كمال محمد بشر " دكتور " : دراسات في علم اللغة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة التاسعة ١٩٨٦ م .

٥٢- مجدي محمد حسين " دكتور " : القاعدة اللغوية والقراءات المخالفة ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، طبعة ٢٠٠٦م .

٥٣- محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، بدون تاريخ ، أو رقم طباعة .

٥٤- محمد المبارك " دكتور " : فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، الطبعة السابعة ، ١٤٠١ هـ - ١١٩٨١ م .

٥٥- محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،حققه وخرّج أحاديثه وفهرسها أبو حفص سيد بن إبراهيم ، دار الحديث _ القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٥٦- محمد سمير نجيب اللبدي " دكتور " : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٥٧- محمد علي الصابوني : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، مكتبة الغزالي ، دمشق _ سورية ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٥٨- محمد محمد حسن شُرّاب : معجم الشواذ النحوية والفوائد اللغوية ، دار المأمون للتراث ،الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٥٩- محي الدين درويش : إعراب القرآن الكريم وبيانه ، دار اليمامة ، دار ابن كثير (دمشق _ بيروت) دار الإرشاد للشئون الجامعية (حمص _ سورية)، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ _ ١٩٩٩م .

٦٠- المنتجب حسين بن أبي المعز الهمداني ت٦٤٣هـ : الفريد في إعراب القرآن المجيد ، تحقيق دكتور فهمي حسن النمر ، دكتور فؤاد علي مخيمر ، دار الثقافة ، الدوحة _ قطر ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ _ ١٩٩١م .

٦١- موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) : شرح المفصل ، عالم الكتب _ بيروت مكتبة المتنبي _ القاهرة .

٦٢- نصر بن علي بن محمد بن أبي عبد الله الشيرازي المعروف بابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها ، تحقيق ودراسة دكتور عمر حمدان الكبيسي ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .

٦٣- ونسخة أخرى قدم لها ووضع هوامشها وفهارسها دكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ _ ١٩٩٨م

٦٤- يسري السيد محمد : بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية " جمع وتوثيق نصوص وتخريج أحاديث " دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ربيع الثاني١٤١٤هـ_ ١٩٩٣م .

المعاجم اللغوية

١- ابن منظور (ت ٦٣٠- ٧١١ هـ) : نسقه وعلق عليه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢ م

٢- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل _ بيروت بدون تاريخ أو رقم طبعة .

٣- إسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩ م .

٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٠٠ _ ١٧٥ هـ) : معجم كتاب العين ، تحقيق دكتور مهدي المخزومي . ودكتور إبراهيم السامرائي ، منشورات الأعجمي للمطبوعات ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨ م .

٥- أحمد رضا " شيخ " : معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، طبعة ١٣٧٧ هـ _ ١٩٥٨ م .

٦- أبو عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : معجم أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ .